


# إسحق
# أو
# النفس

للقديس أمبروسيوس

تفسير رمزى لسفر نشيد الأناشيد كسفر الإتحاد بين
السيد المسيح والنفس البشرية

تعريب : الدكتور جرجس كامل يوسف

تعليق وتبويب ومراجعة : القمص تادرس يعقوب

الناشر : كنيسة مارمرقس الرسول .
: والبابا بطرس خاتم الشهداء .

# بالعظمة نفسك !

**«نفسك» أعظم من أن تقدر، أثمن من العالم كله!، لذا يقول السيد المسيح: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟!» مت ١٦ : ٢٦ .**

مقال القديس أمبروسيوس عن « اسحق أو النفس » سحب أعماق ، خاصة بعد الفصلين التمهيدين الأول والثانى ، إذ يدخل بالقارىء إلى أعماق نفسه ، ليدرك قيمتها لا فى عينيه فحسب ، وإنما بالحرى فى عينى عريسها السماوى السيد المسيح ، الذى يقيمها مدينته المقدسة والتى يجد فيها موضعاً مقدساً يسند فيه رأسه ، يجد بره الإلهى عاملاً فى الانسان الداخلى فيسر به ويمتدحه . يقيمها السيد المسيح جنته الروحية الحاملة ثمر الروح الشهى !

وقد جاء فى فصول المقال الثمانية الآتى :

١ـــ يقدم لنا القديس أمبروسيوس **إسحق كرمز للسيد المسيح** ليس فقط من جهة الحبل به وتقديمه ذبيحة محرقة وإنما أيضا من جهة إسمه « ضحك » ، إذ هو سرّ بهجة كل مؤمن وسروره . **يقدمه لنا أيضاً كرمز للنفس البشرية** المؤمنة والتقية . يرى فيه تلك النفس التى دخلت إلى حجال العريس السماوى لتشاركه حياته وطبيعته ، تحمل سماته فيها ، تلك النفس التى هى موضوع سفر نشيد الأناشيد كله !

٢ـــ التقت رفقة باسحق خلال البئر ، **ينبوع الحكمة الحقيقية** ، وليس مجرد اتحاد الجسد ، فصارت تمثل الإنسان الروحى لا الجسدانى ، الذى يطلب فيه أن يكون على صورة الله لا أن يلتصق بالماديات .

٣ـــ تعلن النفس المؤمنة التقية بسلوكها الروحى وهروبها من الالتصاق بالماديات **اشتياقها الشديد إلى قبلات عريسها** ، قبلات الحب والوحدة ، قبلات الاستنارة التى تحوّل ظلمتها إلى نور فريد ، إذ يشرق شمس البر عليها وفى داخلها .

إنها تحِنّ إلى عريسها فتطلبه ، وبحبه هو يجتذبها إليه فتجرى ولا تتوانى .

٤ـ ترى النفس عريسها قادماً إلى عالمها لا لتترك العالم ، وإنما تسمو فوق ملذاته ومتاعبه ، يرتفع قلبها فى السمويات وهى بعد لا تزال فى الجسد على الأرض ! تلتقى به على صعيد القلب **فتنعم بالبركات التالية** :

(أ) انعكاس بهائه عليها ، فتصير فى عينيه جميلة جداً بلا عيب .

(ب) التمتع بالحياة السماوية المفرحة ... فتصير حياتها أنشودة مفرحة .

(جـ) تنعم بالنور فتكره الظلمة . يشرق عليها فتكتشف ضعفاتها وتتوب ... بهذا تتعرف على نفسها وتقدير عريسها لها !

(د) حرية المجد : لا تقدر شهوات الجسد ولا رباطات محبة العالم أن تأسرها . تخلع مع موسى حذاءها المادى ، وتتعرى من ثوب شهوة الجسد لترتفع فى السمويات .

(هـ) طاقات عريسها الغالب التى يقدمها لها فتصير كفرس فى حرب تغلب وتنتصر ، لكن بروح الوداعة والاتضاع .

(و) اتساع القلب بالحب ، فترى فى كل البشرية إخوة لها .

(ز) آبار حكمته الإلهية إذ ترويها ينابيعه العلوية .

يقدم السيد المسيح هذه البركات للنفس المؤمنة ، إذ يَقْدَم إليها ظافراً على جبال الناموس وتلال النبوات ، يصعدها معه خلال صليبه إلى ملكوته . إنه يتطلع إليها من خلال الكوى لتقبل حضرته ومعيته . يأتيها مسرعاً ، لذا تلتزم هى أيضاً أن تُسرع إليه ولا تتوانى ، حتى يهبها ثمره ويحميها فى صليبه !

**٥ـ من جانبها تلتزم بالجهاد ، تبحث عنه بجدية وفى إيمان فى الأماكن التالية :**

(أ) الأماكن العامة للمدينة حيث يُنصَب القضاء ... هو شفيعها المحامى عنها .

(ب) داخلها حيث يقيم ملكوته هناك .

(جـ) فى الكنيسة حيث كلمة الحق والتعليم الصادق .

(د) وسط الضيق ، إذ هو حال فى ضيقات مؤمنيه ، يُعلن ذاته !

(هـ) خارج القبر ، فهو السماوى الذى لا يمسك به الموت !

وإذ تجده النفس المؤمنة وتتعرف عليه كعريس سماوى لا تقف عند لمسه بل بالإيمان تمسك بقدميه ولا تتركه ، فتخرج منه قوة تنزع عن النفس نزيفها . ترى نفسها أنها حواء الجديدة الملتصقة بآدم الثانى ، تتستّر لا بأوراق التين بل بروح عريسها القدوس ونعمته الغنية المجيدة . تنال بره فتصير كحواء الأولى قبل السقوط .

تفوح منها رائحة أطياب عريسها فتغنى بنات أورشليم تسبحة الحب الزوجى .

تنطلق معهن كما فى موكب ، إذ تخلع عنها « الأنا » ، وتتغرب عن الجسد ، وتترك محبة العالم ، فتستوطن مع الرب . تهرب من العالم والجسد والأنا إلى عريسها الذى يمتدح طهارتها كجنة مغلقة وينبوع مختوم ، ويطلب ثمرها الروحى .

٦ـــ إذ تثمر النفس كروما نقية ، **تسكر بحب الله وتهيم فيه . عندئذ يتقدم عريسها السماوى .**

(أ) يُيْقِظُها كى تتمتع بقبلاته الروحية .

(ب) يقرع باب قلبها كى تفتح له لتستريح فيه وحده دون خصمه .

(جـ) يُنهِضها من فراشها فتتحرر من قيود الجسد وحياة الترف .

(د) يُعلَن لها أسراره الإلهية وسط شركة الآلام معه .

(هـ) يجتذبها بحبه لها ، يُخرجها من بابل لتحيا معه فى أورشليمه .

(و) يستر عليها بحبه بعدما تعانى من الحراس الذين يرفعون عنها إزارها .

(ز) يُشبعها بالحنطة السماوية فى يوم السبت العظيم حيث تجد فيه راحة أبدية .

**٧ـــ إذ يعمل العريس السماوى فى النفس المؤمنة ، تحمل من جانبها السمات التالية :**

(أ) تصير مُبتهجة وكاملة وجميلة ، سرّ بهجتها أنها تحمل كل أسرار المدينة السماوية ، تصير أيقونة السماء ، كل من يتطلع إليها يُعجب بها .

(ب) أعمالها مدوية ، تتحدث بصوت يُدوّى ، وكأنه بوق إلهى يستخدمه الله ليُعلن عن ضياء عمله فى النفوس .

(جـ) تتَّسِم بالوحدة والانسجام الداخلى ؛ كل ما فيها من قدرات وطاقات تتناغم معاً بعمل روح الله القدوس .

(هـ) مُخصِبَة ومثمرة ، إذ ليس فيها شر يُفسد تربتها ويُحوّلها إلى أرض بور .

(د) تلتصق بالله كمصدر خيرها .

(هـ) ترفض ظلمة الشر ، فتصير مُشرقة كالفجر ، جميلة كالقمر الذى يراه كل سكان الأرض .

**٨ـــ أخيراً يحدثنا عن دور السيد المسيح فى كنيسته المتألمة :**

(أ) يسمح لها بالمرارة والتجربة ، لأنه فى المرارة تعرف النفس ذاتها .

(ب) تدخل النفس المعركة كمركبة يقودها السيد المسيح نفسه ، يعرف كيف يضبط الخيل الجامحة ويُشجع الخيل الصالحة . إنه قائد صالح يعرف كيف يَسوس الكل !

(جـ) كقائد للمركبة يصحح مسار النفس ويرشدها .

(د) يُصعِد النفس إلى نخلة النصرة .

(هـ) يبلغ بها إلى كمال الحب وسط جهادها، فينطلق بها عبر مراحل الكمال.

(و) يهتم أن يقوت المتعبين وسط آلامهم .

(ز) يدخل أبواب النفس المتألمة بكونها عروسه .

(ح) إذ يدخل أبواب النفس يرتفع بها إلى العلويات .

(ط) فى صعودها معه تتكىء عليه حتى يدخل بها إلى حجاله لتستريح .

(ى) يتعهدها تحت شجرة التفاح وليس فقط ينظر إليها تحت شجرة التين .

(ك) يتصور فى داخل النفس .

(ل) يهبها خاتمه ، فيكون الكل فى الكل بالنسبة لها ، هو حبنا كله !

(م) يُسربِل النفس بالحب الأقوى من الموت .

(ن) يهب النفس أجنحة نار حب وغيرة .

(س) يرفع النفس إليه بكونه الخير الأعظم .

(ش) أخيراً ينطلق بالنفس إلى أورشليم العليا .

الآن أتركك للقديس أمبروسيوس الذى قدم لنا بالمنهج الرمزى السكندرى تفسيراً حياً لسفر نشيد الأناشيد ، كسفر حب واتحاد بين السيد المسيح والنفس البشرية ، وقد قام **الدكتور جرجس كامل يوسف** بترجمته .

**القمص تادرس يعقوب ملطى** اكتوبر ١٩٩٠

# ١
# اسحق رمز المسيح

[ يرى القديس أمبروسيوس فى إسحق رمزاً للسيد المسيح ، ليس فقط بميلاده بوعد إلهى ولا بتقديمه ذبيحة طاعة لأبيه ، وإنما حتى باسمه كمصدر فرح للغير وبزواجه من رفقة رمز الكنيسة ... ]

## إسحق مكافأة ابراهيم العظيمة

١ــ لقد وصفت باستفاضة كلاً من أصل القديس إسحق والنعمة التى نالها ، وذلك أثناء حديثى عن أبيه[١] . وهو يزخر بالمجد ، حيث وُلد ( اسحق ) كمكافأة لابراهيم ، أبيه العظيم الذى لا مثيل له . ولا عجب إذ حمل فيه رمزاً لميلاد الرب وآلامه . ولدته امرأة مُتقدّمة فى الأيام وعاقر ، وذلك بوعد إلهى ( تك ١٨ : ١١ــ١٥ ؛ ٢١ : ١ــ٢ ) ، حتى **نؤمن بأن الله قادر أن يحقق ميلاداً حتى من عذراء** .

لقد **قُدّم كذبيحة بطريقة فريدة** ، كى لا يفقده أبوه ومع هذا تم الذبيحة ( تك ٢٢ : ١ــ١٩ ) .

أيضاً **يرمز إلى النعمة باسمه** ، لأن « اسحق » يعنى « ضحكاً » تك ٢١ : ٥ ، والضحك علامة الفرح . الآن يعرف كل أحد أن ( المسيح الذى يرمز له اسحق ) هو فرح جميع الذين حطموا رهبة الموت المفزع ، فقد نزع رُعبه ، وصار لكل الناس غفراناً لخطاياهم ...

إنه ذلك الوديع المتواضع والرقيق ( مت ١١ : ٢٩ ) ، الذى خرج إلى الحقل ليتأمل ، حيث جاءت رفقة ( ترمز للصبر[٢] ) ، لأن الإنسان الحكيم ينبغى عليه أن ينأى عن الملذات الجسدية ، ويسمو بنفسه ، منسحباً عن ( ملذات ) الجسد . هذا بالنسبة لمن يعرف نفسه إنساناً ــ Homo باللاتينية و Enos بالكلدانية . لقد طلب أخنوخ Enos الله فى رجاء ومن ثمَّ يُظن أنه قد نُقل ( تك ٥ : ٢٤ ) . هكذا يبدو الإنسان « إنساناً » فقط حينما يضع رجاءه فى الله . أيضاً المفهوم الواضح والحقيقى للنص ( تك ٥ : ١٨ــ٢٤ ) هو أنَّ مَنْ يضع

رجاءه فى الله لا يسكن الأرض بل يُنقَل ، ومن ثمَّ يلتصق بالله[٢] . هكذا كان إسحق صالحاً وصادقاً ، إذ كان مملوءاً نعمة وينبوع فرح .

## إسحق ينبوع حكمة لا فيض دم

إلى هذا النبع جاءت رفقه تملأ جرتها ماءً ، إذ يقول الكتاب المقدس : « فنزلت إلى العين وملأت جرتها وطلعت » تك ٢٤ : ١٦ . وهكذا أيضاً نزلت الكنيسة أو النفس إلى نبع الحكمة تملأ جرتها وترفع تعاليم الحكمة النقية التى لم يرغب اليهود أن يرفعوها من الينبوع الفائض . أصغوا إليه إذ يقول الينبوع نفسه : « تركونى أنا ينبوع المياه الحية » ( إر ٢ : ١٣ ) .

تعطش نفوس الأنبياء إلى هذا الينبوع ، فيقول داود : « عطشت نفسى إلى الله الحىّ » مز ٤٢ : ٢ــ٣ ، لكى يروى ظمأه بغنى معرفة الله ويغسل دم الحماقة بمياه المجارى الروحية . لأن هذا هو فيض الدم كما يشير الناموس ( لا ٢٠ : ١٨ ) ، والذى يُستبان حينما يضطجع رجل مع امرأة طامث . فالمرأة ( هنا تشير إلى ) البهجة وفتنة الجسد . احترس لئلا يُقوضَّ ثبات فكرك ويلين باللذة الجسدية التى للاضطجاع ، فتذوب باحتضانها تماماً ، وينفتح ينبوعها الذى يجب أن يُغلَق ويوصد بالنية الغيورة والتعقل المتزن . أنت « جنة مغلقة ، عين مختوم »،(نش ٤ : ١٢). فإنه إذ ينحل ثبات الفكر تتدفق أفكار اللذات الجسدية ، الضارة للغاية ، المتهيجة إلى شهوة جامحة نحو خطر مميت . لكن متى صارت لنا اليقظة الواعية لحراسة الفكر الحىّ ، تُضبط ( اللذات الجسدانية ) .

+ + +

١ ــ هذا هو عمل القديس أمبروسيوس « عن ابراهيم » ، ظهرت مختارات منه بالفرنسية فى :
D. Gorce: Saint Ambroise: Traite's sur L'Ancien Testaments, Namur 1967.

٢ــ تظهر رفقة كرمز للصبر فى كتابه : « يعقوب والحياة السعيدة » ، وفى رسالتيه ٦٣ ، ١٠٠ .

## ٢
# الانسان الروحى والانسان الجسدانى

[ إذ رأى القديس أمبروسيوس فى إسحق ينبوع الحكمة الذى تأتى إليه النفس التقية ( رفقة ) لترتوى منه ، ولا تقترب إلى ينبوع دم الجهالة المفسد للنفس ، يقارن بين الانسان الروحانى والإنسان الجسدانى . الإنسان مقدس نفساً وجسداً ، **لكن مَنْ يحيا بالروح يعيش كما لو كان كله روحاً ، أما مَنْ يخضع لشهوات الجسد فيعيش كعبد لها ذليل !.**]

٣ـ إذن تأمل يا إنسان مَنْ أنت ؟ وإلى أية غاية تسير بحياتك وكيانك ؟

ما هو الإنسان إذن ؟ نفس ؟ أم جسد ؟ أم وحدة من الإثنين ؟

نحن شيءٌ واحد ، لكن قنيتنا شيءٌ آخر . المتسربل هو شخص واحد ، لكن ثيابه أمر آخر .

نقرأ فى العهد القديم : « جميع **النفوس** التى جاءت إلى مصر » تك ٤٦ : ٢٧ ، إشارة إلى البشر . وفى موضع آخر قيل : « لا يبقى روحى فى هؤلاء الناس ، إنهم جسد « بشر » ( راجع تك ٦ : ٣ ) . أيضا تُستخدم كلمة « إنسان » لتُشير إلى أى مِن الاثنين : النفس أو الجسد . لكن الفرق هو : إذا ما أُستخدم لفظ « نفس » للإشارة إلى الإنسان يقصد هنا العبرانى الملتصق بالله لا ( بشهوات ) الجسد ، كما فى العبارة : « تُبارك النفس الصادقة بالتمام » أم ١١ : ٢٥ LXX .

وحينما تُستخدم كلمة « جسد » لتشير إلى الإنسان فالمقصود هنا هو الخاطىء ، كما فى العبارة : « ... وأما أنا فجسدانى مبيع تحت الخطية ، لأنى لست أعرف ما أنا أفعله ، إذ لست أفعل ما **أريده** بل ما **أبغضه** فإياه **أفعله** » رو ٧ : ١٤ ، ١٥ . يظهر هذا الرأى فيما جاء بعد ذلك فإن الذى يريد غير الذى يكره وغير الذى يفعل . ومن ثمَّ ينتج : « فإن كنت أفعل ما أُبغِض فإنى أُصادِق الناموس أنه حسن ؛ فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فىّ » رو ٧ : ١٦ ، ١٧ . يظهر ذلك بمزيد من الوضوح فى القول : « أرى ناموساً آخر فى جسدى ( أعضائى ) يحارب ناموس ذهنى ، ويَسْبينى إلى ناموس الخطية » رو ٧ : ٢٣ .

وبالرغم من قول بولس بأن كلاً من الإنسانين ــ الداخلى والخارجى ــ كانا فى حرب ، لكنه يفضل مساندة الجزء الذى يشمل النفس أكثر من ذاك الذى فى الجسد ، لأنه حينما كانت نفسه ــ التى يفضلها ــ مَسْبيّة تحت الخطية ، يؤكد ما فضله بقوله : « ويحى أنا الإنسان الشقى ! مَنْ ينقذنى من جسد هذا الموت ؟! » رو ٧ : ٢٤ . أى أنه أراد أن يُنقذ من عدو خارجى ، هكذا يقال !

## ما هى النفس ؟

[ يرفض القديس أمبروسيوس تعاريف بعض الفلاسفة للنفس ، إذ قال شيشرون عنها إنها دم ، وقال امبيذوكليس إن مركزها الدم ... ]

٤ــ لهذا ليست النفس دماً ، لأن الدم هو من الجسد .

ولا هى ذلك الانسجام الذى هو أيضا من الجسد .

النفس ليست هواءً ، لأن نفخة النَفَس شىءٌ والنفس شىء آخر .

ليست النفس ناراً ، ولا هى فعلية actuality ، وإنما **هى حياة** ، لأن آدم صار « نفساً حية » تك ٢ : ٧ .

النفس هى التى تحكم الجسد وتعطيه حياة الذى ( بدونها ) يكون بلا حياة ولا شعور . يوجد أيضاً الإنسان الأكثر سمُوًّا ، الذى قيل عنه : « وأما ( الإنسان ) الروحى فيحكم فى كل شىء ، وهو لا يُحكَم فيه من أحد » ١ كو ٢ : ١٥ . مثل هذا يكون أكثر سموًا من الآخرين ، وعنه يقول داود أيضاً : « فمن هو الإنسان حتى تذكره أو ابن الإنسان حتى تفتقده ؟! يصير الإنسان كباطل » مز ٨ : ٥ ، ١٤٤ : ٣ــ٤ . الإنسان كصورة الله ليس باطلاً ، لكن الذى يفقدها ويسقط فى الخطية ويتعثر فى الماديات ، مثل هذا يشبه الباطل .

٥ــ لذلك ، النفس سامية بطبيعتها ، لكنها صارت بوجه عام خاضعة للفساد من خلال لا عقلانيتها ، فمالت إلى الملذات الجسدية وإلى الاعتداد بذاتها . بينما لم تحتفظ بالاعتدال خدعتها الأوهام ، وانحرفت إلى المادة ، والتصقت بالجسد ، ومن ثَمَّ تعوقت بصيرتها وامتلأت بالشر . وإذ هى تنوى الشر تملأ ذاتها بالرذائل ، ومن ثَمَّ تزداد فى إسرافها وعزوفها عن طلب الصلاح ...

# ٣

# رفقة رمز الكنيسة

## النفس الكاملة التى تهرب من الشر لا من الأرض

٦ــ أما النفس الكاملة فتبتعد عن المادة ، وتمتنع وترفض كل ما هو مُبالغ فيه أو متقلقل أو شرير ، ولا تتطلع أو تقترب من هذا الدنس والفساد الأرضى . إنها تُصغى إلى الإلهيات وتتجنب الأرضيات . لكن فى انطلاقها لا تغادر الأرض بل وهى باقية على الأرض تتمسك بالبر ( العدل ) وضبط النفس ، تنبذ الرذائل التى فى الأرضيات ولا تنبذ استخدام الأمور الارضية .

لقد هرب داود من وجه شاول ( ١ مل ١٩ : ١٨ ) ، لا لكى يهجر الأرض حقاً ، وإنما لكى يهرب من عَدْوَى إنسان قاسٍ عاصٍ وغادر . هرب لكى يلتصق بالله ، إذ يقول : « التصقت نفسى بك » مز ٦٣ : ٨ . انسحب ونأى بنفسه عن رجاسات هذا العالم ، سما بنفسه تماماً ، وذلك كما تأمل اسحق عندما تجوَّل فى الحقل ( تك ٢٤ : ٦٣ ) ... لأن هذه شهادة واضحة تمس الالتصاق بالفضائل ، حيث يتجوّل الإنسان ببراءة قلبه ، فلا يشترك فى الشهوات الأرضية وانما يشق طريقه بفكر متحرر ، أى بلا لوم ، ولا يفتح موضعاً للفساد فى داخله .

## جمال الكنيسة الروحى

٧ــ هكذا كان اسحق حينما انتظر مجىء رفقه وتهيأ لاتحاد روحى ( تك ٢٤ : ٦٢ ) . جاءت إليه وقد وُهبت أسراراً سماوية ، تحمل زينة عظيمة فى أذنيها وعلى ذراعيها ( تك ٢٤ : ٢٢ ) . **أستعلن جمال الكنيسة فى سمعها وأعمال يديها بوضوح** . ونلاحظ أنه قيل لها بحق : « صيرى ألوفَ ربوات ، وليرث نسلك مدائن أعدائه » ( تك ٢٤ : ٦ LXX ) . لهذا الكنيسة جميلة ، لأنها ضمّت أبناء من أمم معادية . لكن يمكننا تفسير هذا النص بخصوص النفس التى تُخضِع الشهوات الجسدية ، وتحولها إلى خدمة الفضائل ، وتُطوّع المشاعر المعاندة لها .

هكذا كانت نفس الأب ( البطريرك ) اسحق ، الذى عاين سرّ المسيح ، فرأى رفقة قادمة بأوان من ذهب وفضة ( تك ٢٤ : ٥٣ ، ٦٣ ) . وكأنها بالكنيسة مع شعوب الأمم التى تندهش لجمال الكلمة ( الالهى ) وأسراره ، فتقول « ليقبلنى بقبلات فمه » نش ١ : ٢ . عندما ترى رفقة إسحق الحقيقى ـــ الفرح الحق ، ينبوع المرح الحقيقى ـــ تشتاق أن تقبّله .

## قُبلات الحب والوحدة والاستنارة وسكب النفس

٨ـــ ما معنى : « ليقبلنى بقبلات فمه » ؟ فكروا فى الكنيسة التى انتظرت مجىء الرب لقرون طويلة ، الذى وعدها بذلك خلال الأنبياء فى القديم . فكروا فى النفس التى تسمو فوق الجسد وترفض الانغماس فى الملذات والمسرات الجسدية ، تاركة أيضاً الاهتمام بالاباطيل الدنيوية . لقد اشتاقت زماناً طويلاً أن تلتحم بحضرة الله ، واشتهت أيضاً إلى نعمة كلمة الخلاص ، وها هى قد أصابها الهزال لأنه يأتى متأخراً ، ها هى قد تقوّضت وجُرحت حباً ( نش ٥ : ٨ ) ، فهى لا تقوى على تأجيلاته ( فى المجىء ) . وإذ تتجه نحو الآب تسأله أن يرسل إليها إلهها الكلمة ، وتعلل سبب نفاذ صبرها بالقول : « ليقبلنى بقبلات فمه » . إنها لا تسأل عن قبلة واحدة بل تطلب قبلات كثيرة ، لكى تُشبع اشتياقاتها . لأنها كحبيبة لا تقنع بتقدمة ضئيلة من قبلة واحدة ، بل تطلب الكثير ، وتحسب أن لها الحق فى التمتع بالكثير ، ومن ثَمَّ صارت تألف أن تطلب لنفسها أكثر وأكثر من محبوبها . لقد نالت استحساناً فى الانجيل إذ « لم تكف عن تقبيل قدمَىَّ » لو ٧ : ٤٥ ، و « غفرت خطاياها الكثيرة ، لأنها أحبت كثيراً » لو ٧ : ٤٧ .

مثل هذه النفس تريد قبلات كثيرة من الكلمة ، لكى تستنير بنور معرفة الله ؛ لأنها هذه هى قبلة الكلمة ، أعنى نور المعرفة المقدسة . يقبلنا الله الكلمة حينما ينير قلوبنا وينير القدرة المتحكمة الفعلية بروح معرفة الله . النفس التى تنال تلك الهبة تبتهج وتفرح بعربون الحب العروسى ( الزيجى ) ، وتقول : « فغرت فمى ولهثت » مز ١١٩ : ١٣١ . لأنه بالقبلة يلتصق الأحباب ببعضهم البعض ، وينالون عذوبة النعمة التى فى الداخل . بهذه القبلة تلتصق النفس بالله الكلمة ، وبالقبلة

تنسكب روح من يقبِّل داخل النفس ، تماماً مثل الذين لا يكتفون فى قبلاتهم بلمس الشفاه على خفيف إنما يَبْدون وكأنهم يسكبون أرواحهم الواحد فى الآخر .

٩ــ إذ تبدو أنها لا تحب فقط ظهور الكلمة ووجهه بل كما لو كانت تحب أعماقه الداخلية ، فتضيف إلى نعمة القبلات : « ثدياك أطيب من الخمر ، ورائحة أدهانك تفوق كل الأطياب » نش ١ : ٢ ، LXX ٣ . لقد طلبت القبلة ، سكب الله الكلمة نفسه فيها بالتمام وكشف عن ثدييه ، أى تعاليمه ونواميس الحكمة التى فى الداخل ، ورائحة أدهانه التى تفوق كل الأطياب . هذا كله يَسْبيها ، فتقول النفس إن التمتع بمعرفة الله أغنى من الفرح بأية لذة جسدانية ، إذ تفوح فى الكلمة رائحة النعمة وغفران الخطايا . وإذ تنسكب فى كل العالم تملأ تلك المغفرة كل شيء وينسكب الدهن لينزع أوراق الرذيلة الثقيلة عن الناس .

**اجتذاب الكلمة للنفس**

١٠ــ « لذلك أحبتك العذارى ، اجذبنا فنجرى وراء رائحة أدهانك » ( نش ١ : ٣ ، ٤ ) . حقاً ، صالح هو التعقل ؛ لكن الرحمة عذبة ، وقليلون هم الذين يحظون بالأولى ( التعقل ) ، أما الأخيرة ( الرحمة ) فتحِّل بجميع البشر . « بسبب حنو رأفتك تحبك النفوس المتجددة بالروح » . فى هذا الصدد قيل أيضا للنفس : « يتجدد مثل النسر شبابك » ( أف ٤ : ٢٣ ، مز ١٠٣ : ٥ ) . لأن المرتل تحدث مع النفس ، قائلاً : « باركى يا نفسى الرب » مز ١٠٣ : ١ . لهذا تُسرع النفس إلى الكلمة ، وتسأل أن تُجذَب إليه ، لئلا تُترك بعيداً ، لأن « كلمة الله لا تُقيد » ٢ تس ٣ : ١ ، ٢ تى ٢ : ٩ ، وحقاً « يبتهج مثل الجبار للسباق فى الطريق » ولأن « خروجه هو من أقصى السموات ومدارها إلى أقاصيها » مز ١٩ : ٦ ، ٧ . وإذ ترى النفس أنها ليست نداً لمثل هذه السرعة العظيمة تقول : « اجذبنا » ، إذ لنا اشتياق أن نتبعك ، وهو ما استنشقناه من عطية نعمة أطيابك . لكننا إذ لا نقوى على مجاراة سباقك اجذبنا أنت فنتبع خطواتك بمعونتك وتعضيدك . إن جذبتنا نجرى ونحظى بنسائم الركض الروحية . فإنّ مَنْ

لهم يدك عوناً يُلقون بأثقالهم جانباً ، وينسكب فيهم زيتك الذى يشفى مَنْ جرحه اللصوص ( لو ١٠ : ٣٤ ) .

لا تعتبر قولها « اجذبنا » عيباً إذ تسمعه يقول : « تعالوا إلىّ يا جميع المُتْعَبِين والثَقِيلِى الأحمال وأنا أُريحكم » مت ١١ : ٢٨ . أتَرَوْن كيف يجذبنا بفرح لئلا نُترك فى الخلف ونحن نتبعه .

**هو يجذبنا ، ونحن نركض ولا نتوانى**

لكن مَنْ يريد أنْ يجتذب يلتزم أن يركض فينال . **ليركض ناسياً الأمور الماضية ، طالباً ما هو أفضل** ، بهذا يقدر أن ينال المسيح . فى هذا الصدد يقول الرسول أيضا : « اركضوا لكى تنالوا » ١ كو ٩ : ٢٤ .

هكذا تشتاق النفس إلى بلوغ الجعالة التى تريد التمتع بها . لهذا تسأل بحكمة أن تُجْتذب ، لأنه ليس كثيرون قادرين على أن يتبعوه . حقاً عندما سأله بطرس : « إلى أين أنت تذهب ؟ » أجابه كلمة الله : « حيث أذهب لا تقدر الآن أن تتبعنى ، ولكنك ستتبعنى أخيراً » يو ١٣ : ٣٦ . لقد ائتمنه الرب على مفاتيح السماء ( **بالإيمان المُعطى للتلاميذ** ) مت ١٦ : ٢٩ ، ومع هذا حكم بطرس على نفسه أنه ليس بكفء أن يتبعه . مع ذلك لم ينبذ الرب تلك النفس ، لأن بطرس لم يكن يتطاول ( متجاسراً ) وإنما كان يتساءل .

# ٤
# تمتع النفس بجمال الملك
## « الحياة السماوية »

**جمال داخلى !**

١١ــ حقاً « أُدْخَلنى الملك إلى حجاله » نش ١ : ٤ LXX .

طوبى للنفس التى تدخل إلى الحجال ، إذ تسمو فوق الجسد لتصير بعيدة ( سامية ) عن الكل ؛ تبحث وتطلب فى داخلها عن طريق ما به تتبع الإلهيات . وإذ تبلغها تتجاوز المُدرَكات العقلانية ، فتتقوى بالالهيات وتقتات عليها .

هكذا كان بولس ، الذى أدرك أنه أُخْتُطِف إلى الفردوس لكنه لم يكن يعرف إن كان فى الجسد أم خارج الجسد ( ٢ كو ١٢ : ٣ ، ٤ ) . فقد نهضت نفسه من الجسد ، وانسحبت عن ضرورياته ورباطاته وسمت إلى فوق . صار غريباً عن نفسه بنفسه ، وصان فى أعماق نفسه الكلمات السرية التى سمعها ولم يقدر على إعلانها ، لأنه ، كما صرح هو ، لم يكن مسوغاً لإنسان أن ينطق بمثل تلك الأفكار ( ٢ كو ١٢ : ٤ ) .

لهذا تحتقر النفس الصالحة الأمور المادية المتقدة ، ولا تعود تتعلّق بها أو تتوانى أو تتوقف عن الاستخفاف بها ؛ بل بالحرى تنهض إلى الأبديات غير المادية والعجيبة ، لأنها تقوم بفكر طاهر وبذهن نقى . وإذ تعزم على الكمال تجاهد لأجل الخير فقط ، الخير الإلهى ، وتحسب ما عداه ليس ضرورياً ، إذ تملك ما هو أسمى . مثل هذا الإنسان تحمل نفسه جمالاً أكثر مما تحتاج إليه ، حتى لو كان متروكاً وحده ، إذ يجد الشبع فى داخله ، ومن ثَمَّ لا يُحسب هذا الإنسان معزولاً وحده لأن الرب معه شفيعاً له .

**فرح داخلى !**

١٢ــ حقاً ، حينما يُؤتى بها إلى اللاهوت الخفى ( السرى ) ، تقول النفس : « فلنفرح ولنبتهج بك ، لتكن لنا ثدياك أكثر من الخمر » نش ١ : ٤ LXX .

فإن البار لا يبتهج بالغِنَى وكنوز الذهب والفضة ولا بالتمتع بممتلكاته ، ولا بالقوة ولا بالولائم إنما بالله وحده .

## صراعها مع الظلمة

١٣ــ وأيضا إذ أدركت هذه النفس أنها قد أُظْلمت باتحادها ( بشهوات ) الجسد تقول للأنفس الأخرى أو لقوات السماء المسئولة عن الخدمة المقدسة : « لا تنظرن إلىّ لكون بشرتى سوداء ، لأن الشمس لم تنظر إلىّ ، وبنو أمى غضبوا علىّ » نش ١ : ٦ LXX ، أى هاجمتنى شهوات الجسد ، وأضْفت مفاتنه على لونى ، لهذا لم يشرق شمس البر علىّ ( ملا ٣ : ٢٠ ) . إننى محرومة من هذه الحماية ، لم أستطع الحفاظ على تكريسى وطاعتى الكاملة . هذا هو معنى : « كرمى لم أحفظه » نش ١ : ٦ . لأننى أنتجت شوكاً لا عنباً ، أى أنتجت خطايا عوض الثمار الروحية ( مت ٧ : ١٦ــ٢٠ ) .

## حاجتها إلى راحة الظهيرة

١٤ــ وحينما نتحدث عن الكلمة وضيائه الذى يشرق عليها ، فتلتفت إليه قائلة : « أين ترعى قطيعك ؟أين تستريح عند الظهيرة ؟ » نش ١ : ٧ ... كان الوقت « **ظهيرة** » عندما احتلَّ يوسف مكانه وسط إخوته فى المأدبة ، وكشف لهم عن أسرار الأزمنة المقبلة ( تك ٤٣ : ١٥ ) ، ويقول داود أيضاً : « سلّمْ للرب طريقك واتكل عليه وهو يُجرى ، ويخرج مثل النور برك ، وحقك مثل الظهيرة » مز ٣٧ : ٥ــ٦ . كما أعلن بولس ذاته أن النور أبرق حوله كالظهيرة عندما اهتدى من مضطهد للكنيسة إلى النعمة ( أع ٩ : ٣ ) .

لذلك تشكو النفس لأنها هُجرت ، لأنها تُركت ، وقد صارت فقيرة ، هذه التى كانت غنية ، لأنها كانت تفيض بعطايا النعمة وقد صارت فى عوز ، حينما حُرمت من ملء الحضور الإلهى ؛ ها هى تطلب أن تُعالَج كأنها كانت قبلاً أجيرة هذه التى سبق فتمتعت بغنى الاتحاد .

**حاجتها إلى تقديرها لنفسها بالتوبة**

١٥ــ يجيبها كلمة الله : « إنْ كنتِ لا تعرفين نفسك أيتها الجميلة بين النساء » نش ١ : ٨ ، لأنكِ تشتكين بأنك قد هُجرت ــ « إن كنتِ لا تعرفين نفسك » ، أى إن لم تتوبى ، إن لم تُظهرى تقوى يقظة ، إنْ لم يزد إيمانك وينْمُ اتكالك ، لن تُجْدِى شكواك .

إنْ كنتِ لا تعرفين نفسك أنكِ جميلة، وإنْ لم تحفظى جمال طبيعتك، ولا تسود عليكِ إغراءات الجسد، ولا تعوقك موانعه، لن يُعِينك شرف خليقتك مطلقاً.

**تمتعى بجمال الحرية !**

١٦ــ لهذا اعرفى نفسك وجمال طبيعتك ، وانطلقى كأن قدميك قد تحررتا من القيود ، وقد ظهرتا مَرْئية فى خطواتهما المكشوفة ، فلا تشعرين بأغطية جسدانية ، ولا تعوق روابط الجسد خُطى ذهنك ؛ فتظهر قدماك جميلتين . لأنه هكذا هو حال من اختارهم الرب للشهادة عن ملكوت السموات ، إذ قيل عنهم : « ما أجمل أقدام المبشرين بانجيل السلام » رو ١٠ : ١٥ ؛ إش ٥٢ : ٧ .

هكذا كان حال موسى الذى قيل له : « اخلع الحذاء من رجليك » خر ٣ : ٥ ، فإنه إذ كان مزمعاً أن يدعو الشعب إلى ملكوت الله وجب عليه أن يخلع ثياب الجسد ويمشى بروحه وخطى ذهنه عارية . لهذا يقول الرب : « اخرجى على آثار الغنم وارعى جداءك عند خيام الرعاة » نش ١ : ٨ . نفهم أن الغنم هو الملكوت ، لأن ممارسة رعاية الغنم تتطلب قوة . أيضاً يختبر كل انسان رعاية نفسه بنوع ما بقوة ملوكية وذلك إذا ما كبح إفراط الجسد فى داخله ، وقمع جسده واستعبده ، لذا قيل : « ملكوت الله داخلكم » لو ١٧ : ٢١ . فى هذا الصدد قال الرب للنفس : « اخرجى » ، أى « اخرجى من العبودية » ، اخرجى من سيطرة الجسد وسلطانه . اخرجى ، لا فى الجسد ، بل فى الروح . اخرجى إلى سلطان القوة . لذا يُضيف : « وارعى جداءك ( الصغيرة ) » ، أى اضبطى

الأمور التى على يسارك ، فإنها إذا لم تُضْبَط سرعان ما تسقط ( مت ٢٥ : ٣٣ ) . اكبحى شهواتك . شهوة جسدك ، والانغماس فى الشهوات الحيوانية . اضبطى أهواءك المتقلبة ، لا ترعيها عند خيام الجسد بل فى خيام الرعاة الذين تعلموا كيف يقودون القطيع .

لأنه « ما أحسن خيامك يا يعقوب ، مساكنك يا اسرائيل ... كجنات على نهر » عد ٢٤ : ٥ ، ٦ . فيها ترقد النفس كأنها مستعدة للحرب ، تؤدى خدمة طيبة ، تبحث عن غزوات الخصم ، وتطلب النصرة بجهاد الفضيلة . فتُقارَن بجواد سليمان المطهَّم ، السريع فى العَدْو ، والخصيب فى الإنجاب ، فإن خصوبة النفس مرغوبة ومطلوبة .

## جاهدى كفرس فى حرب

١٧ــ إنها جواد ثمين ، هى مركبات فرعون السريعة ( نش ١ : ٩ ) .

يعتبر البعض هذا النص ( نش ١ : ٩ ) إشارة إلى الكنيسة والشعب ، لكننى سبق أن تحدثت عن هذا السر مراراً خاصة فى تفسير مزمور ١١٨ (١١٩) ، بأن الحديث هنا هو عن النفس . فالنفس تُقاد مثل الفرس ، أعنى أن لها فضيلة نبوية أو رسولية ، لأنها تُحسب ضمن الذين ملأوا كل أقاصى الأرض بخصوبة كرازتهم ؛ وهم لا يزالون بعد فى الجسد لا يشعرون بفقدانهم سعيهم الروحى . من أجل هذا تنال هذه النفس مديحاً ، إذ صارت جميلة وبهية بإرشاد الوصية السماوية واستنارتها . تعكس على وجهها جمال العفة ، وحينما تتحلى بقلادتها حول عنقها تظهر علامات الصبر والاتضاع .

لقد أحب اسحق الحقيقى جمال مثل هذه النفس واتضاعها وصبرها ، وترقب باشتياق ذريتها .

## ذرية النفس الجميلة

١٨ــ الآن حبلت رفقة ( تك ٢٥ : ٢١ ) ، وبصبرها حلت عقدة العقم . لنتأمل ما أنجبته نفسها النبوية الرسولية ، وكيف مضت تستشير الرب ( تك

٢٥ : ٢٢ ) ، لأن الطفلين تزاحما فى بطنها ، فتلقت الإجابة : « فى بطنك أمتان » تك ٢٥ : ٢٣ . لأنها لم تعطِ نفسها حق الحكم فى الأمر بل سلمته لله كمدافع علوى فائق يهبها المشورة ، وإذ امتلأت سلاماً وتقوى جمعت أمتين معاً بإيمانها خلال النبوة ، وأغلقت عليهما فى بطنها ، إن جاز التعبير .

## تُحسب أختاً للجميع

١٩ــ ليس بدون سبب دُعيت أختاً أكثر منها زوجة ( لواحد ) . فإن نفسها الرقيقة المسالمة قد اشتهرت بحبها الشديد للجميع أكثر من الاتحاد بفرد واحد ؛ فقد حسبت نفسها مرتبطة بالكل ( فى أخوة ) ولا تقف عند اتحادها بالواحد .

## تفتح آبار الإيمان والتكريس

٢٠ــ الآن ، أعاد اسحق نبش عدة آبار سبق أبوه أن حفرها لكن الغرباء طمسوها بعد موت أبيه ابراهيم . بجوار تلك الآبار حفر أيضا واحدة فى وادى جرار حيث وجد هناك بئر مياه حية ، وتنازع رعاة جرار مع رعاة اسحق زاعمين ملكيتهم لماء تلك البئر ، فدعا اسمها ظلماً ( عسق ) ( تك ٢٦ : ٢٠ ) . ثم حفر بئراً أخرى ثار عليها نزاع أيضاً فدعاها عداوة ( سطنة ) ( تك ٢٦ : ٢١ ) . ثم حفر بئراً ثالثة ، ولم يحدث عليها خصام بين الرعاة ، فدعاها رحوبوت أى متسعة للكل ( تك ٢٦ : ٢٢ ) . وحفر أيضاً بئراً لم يجد فيها ماءً فدعاها بئر القَسَم ( تك ٢٦ : ٢٥ ) .

٢١ــ هل عندما يقرأ أحدكم ( عن هذه الآبار ) يحسبها أعمالاً أرضية لا روحية ؟ فقد حفر إبراهيم آباراً ، وهكذا فعل إسحق أيضا ، ويعقوب ، البطاركة العظماء ... كأنهم كانوا ينابيع الجنس البشرى ، خاصة كآبار للإيمان والتكريس . لأنه ما هو بئر الماء الحىّ إلا عمق الإرشاد ؟! لهذا رأت هاجر ملاكاً بجوار بئر ( تك ٢١ : ١٤ ) ، ووجد يعقوب زوجته راحيل بجوار بئر ( تك ٢٩ : ٢ ، ٩ ، ١٠ ) ، ونال موسى أولى مكافآته لزواجه المستقبل بجوار بئر ( خر ٢ : ١٥ــ٢٢ ) .

## المعانى الرمزية للآبار [ أخلاقية ثم طبيعية ثم سرية ]

٢٢ــ لهذا أخذ اسحق على عاتقه أن يحفر آباراً برؤيا عميقة وبتدبير حسن ، وذلك لكى تغسل بئره وتُقوّى قدرة النفس العاقلة وبصيرتها فتصير الرؤيا أوضح .

لقد حفر آباراً أخرى عديدة، وكُتب بهذا الخصوص: «اشرب مياهاً من آنيتك ومن نبع آبارك» أم ٥ : ١٥ LXX . كلما كثرت الآبار ازداد غِنَى فيض النعم.

نبش بئراً سبق فحفره أبوه ابراهيم ، وقد تنازع عليه رعاة جرار ؛ هذا يشير إلى جدران الفصل ، إذ حدث انقسام بين المتنازعين وصار ظلم.، وقد دُعِيَ البئر « ظلماً » ، ثم حفر بئراً أخرى وحينما قام النزاع دعاها عداوة . يبدو فى هذا **تعليم أخلاق** ، لأنه ما أن تُزال جدران الفصل تُنزَع العداوة **طبيعياً** . التى فى جسد الإنسان ويصير العنصران ( الجسد والنفس ) واحداً ؛ هذا ما تحقق رمزياً فى اسحق وبالحقيقة بالمسيح . لهذا وُجِد بعد ذلك ماء نقى فى البئر ( الثالثة ) ، صالحة للشرب ... وقد دُعِيت « رحبوت » ، لأن الإنسان الذى يتجاوز الأمور العالمية المادية يكون هادئاً رابط الجأش يجاهد دون منازعة ... ويقول : « الآن قد أرْحب لنا الرب وأثمرنا فى الأرض » تك ٢٦ : ٢٢ ؛ لأنه قد سُمِّيَ على الأمور الأرضية . أما البئر الأخيرة فهى بئر القَسَم ( العهد ) ، حيث ظهر له الله ، قائلاً : « لا تخف لأنى معك » تك ٢٦ : ٢٤ ، وباركه . هذا **تعليم سرّى** .

٢٣ــ لديكم تعليماً مماثلاً فى سليمان . سفر الأمثال الذى هو **أخلاق** ، وفى سفر الجامعة يستهين بأباطيل هذا العالم كأمر **طبيعى** . أما نشيد الأناشيد **فسرِّى** .

لديكم أيضاً فى النبى : « **ازرعوا** لأنفسكم بالبر ، **أحصدوا** ثمرة الحياة ، **أضيئوا** لأنفسكم نور المعرفة » هو ١٠ : ١٢ LXX . هذا هو نور المعرفة أن يكون لكم كمال الحب . فقد قيل : « لا تخافوا ، لأن المحبة تطرد الخوف خارجاً » ١ يو ٤ : ١٨ .

لنعرف أن سليمان فسَّر تلك الآبار ، ونسب إليها معانٍ **أخلاقية وطبيعية وسرية** بالترتيب .

**(أ) الآبار فى المفهوم الاخلاقى**

٢٤ـــ لأنه فى الأمثال إذ تحدث عن رفضه جمال الفتن العالمية حيث قال : « اشرب مياهاً من آنيتك ، ومن نبع آبارك ، ولتُفِضْ مياه ينبوعك لك » أم ٥ : ١٥ ، ١٦ LXX ؛ وأيضاً : « ليكن ينبوع مياهك لك وحدك وافرح بزوجتك » أم ٥ : ١٨ LXX ، لأن الحكمة الحقيقية هى علاجنا ضد تجارب العالم **والتعليم الأخلاقى** أيضاً . فإنه بسَرَيان مياهها الفائض من نبعها تُغسَل صورة الإنسان وتتطهر هذه التى تلطخت بمساحيق مباهج العالم التى تستخدمها الزانية ـــ إن جاز التعبير .

**(ب) الآبار فى المفهوم الطبيعى**

٢٥ـــ بالإشارة إلى المفهوم الطبيعى ، تجدونه فى سفر الجامعة : « عملت لنفسى بِرَكَ مياهٍ لتسقى بها المغرس المنبتة الشجر » جا ٢ : ٦ . لا تهتموا أنه قال « بِرَك » بدلا من « الآبار » .

**(جـ) الآبار فى المفهوم السرِّى**

٢٦ـــ تبقى لنا البئر فى المفهوم السِّرى ، نجدها فى نشيد الأناشيد ، حيث يقول الكتاب المقدس : « ينبوع جنات بئر مياه حية وسيول من لبنان » نش ٤ : ١٥ . حقاً إن أردتم سبر عمق الأسرار تُظهِر البئر لكم حكمة سرية مؤسسة فى الأعماق . لكن إن أردتم شرب وفرة الحب الأعظم والأغنى من الإيمان والرجاء فلكم نبعكم ، لأن المحبة تفيض بِغنًى لكى تقدروا أن تشربوها وتكون بين أيديكم ، تروى جنتكم بغزارة ، فتأتى بثمار روحية .

لأن الحبيب ( المحب ) هناك وراء بئر رحبوت يقول الكتاب المقدس حيث يوجد الحب هناك مَجْرَى قوى يتدفق عبر لبنان ...

لنَسْمَح للإنجيل أن يعلمنا ( عن البئر بالمفهوم السِرِّى ) ، إذ كتب أن « يسوع أتى إلى مدينة من السامرة يُقال لها سوخار بقرب الضيعة التى وهبها يعقوب ليوسف ابنه ، وكانت هناك بئر يعقوب . فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر » يو ٤ : ٥ ، ٦ . بهذا نعرف أيضاً أن هذه البئر تُفْهَم سرّياً . فالمرأة السامرية ، حارسة ، أعنى حارسة للوصايا السماوية ، تقترب من هذه البئر ، لأنها تعلمت الأسرار الإلهية ، تعلمت أن الله روح وأنه لا يُعْبَد فى مكان بل فى الروح ، وأن المسيح هو المسّيا الذى انتظره اليهود وقد جاء فعلاً ( يو ٤ : ٢١—٢٦ ) . إذ سمعت هذه الأمور تعلمت هذه المرأة التى تُعلِن عن جمال الكنيسة ، وآمنت بأسرار الناموس .

## الحكمة الثلاثية الأبعاد

[ يضرب القديس أمبروسيوس أمثلة متعددة للتفاسير الثلاثية للكتاب المقدس : التفسير الاخلاقى ، التفسير الطبيعى ، التفسير السرِّى، ( الرمزى ) ، ويدعو هذه التفاسير « الحكمة الثلاثية الأبعاد » . أخذ القديس أمبروسيوس هذا الفكر عن مدرسة الإسكندرية ، خاصة العلامة أوريجانوس الذى يرى أن الكتاب المقدس يُفسَّر بثلاث طرق :

(أ) التفسير الحرفى أو التاريخى ، يُقدم للبسطاء .

(ب) التفسير السلوكى أو الأخلاق .

(جـ) التفسير الرمزى أو السِرِّى ، خاص بالنفس التى تتمتع بالشركة مع السيد المسيح ، كعروس له ، تنعم بأسراره وهى فى حجاله .

أكتفى هنا بتقديم بعض أمثلة مما ورد فى مقال القديس أمبروسيوس . ]

٢٧— فى سفر نشيد الأناشيد أيضاً ، يصور سليمان بوضوح تلك الحكمة الثلاثية الأبعاد ، وإن كان فى سفر الأمثال أوصى أن الإنسان الذى يريد أن يسمع حكمته ينبغى أن يكتبها لنفسه ثلاث مرات ( أم ٢٢ : ٢٠ LXX ) .

تقول العروس فى نشيد الأناشيد عن العريس : « ها أنتَ جميل يا حبيبى وحلو حقاً ! وسريرنا مُظلَّل ، وعوارض بيتنا أَرْز ، وروافدنا سِرْو » نش ١ : ١٦ ، ١٧ . يمكن تفسير ذلك أخلاقياً ؛ لأنه أين يسكن المسيح وكنيسته إلا فى أعمال شعبه ( سلوكهم ) ؟! فإنه حيث توجد النجاسة والكبرياء أو الإثم « ليس لابن الإنسان أين يسند رأسه » مت ٨ : ٢٠ كقول الرب يسوع .

٢٨ــ وماذا عن المفهوم الطبيعى ؛ « تحت ظله ابتهجتُ للغاية وجلستُ وثمرته حلوة لحلقى » نش ٢ : ٣ LXX . الإنسان الذى يسمو فوق الأرضيات ويموت عن العالميات ، الذى صُلب العالم له وهو للعالم ، يحتقر وينبذ كل ما هو تحت الشمس .

٢٩ــ بخصوص المفهوم السِّرى يقول : « أدخلنى إلى بيت الخمر ، ومُر لى بما أحب » نش ٢ : ٤ LXX . كما أن الكرمة تضم التعريشة هكذا الرب يسوع ككرمة أبدية ( يو ١٥ : ١ ) يحتضن شعبه كما بين ذراعى المحبة .

٣٠ــ تأملوا كل جزء بالمفهوم الأخلاقى ... « أنا زهرة الحقل ، سوسنة الأودية » نش ٢ : ١ ، **بالمفهوم الأخلاق هو زهرة** .

**وبالمفهوم الطبيعى هو شمس البر** ( ملا ٣ : ٢٠ ) الذى يُعطى نوراً عند إشراقه وقيامته ثانية ... لاحظوا أنه لا يغرب عنكم ، كما هو مكتوب : « لا تغرب الشمس عن غيظكم » أف ٤ : ٢٦ .

**وبالمفهوم السرِّى ، هو المحبة** ؛ لأن المسيح هو تكميل الناموس ( رو ١٣ : ١٠ ) . هكذا الكنيسة التى تحب المسيح ، مجروحة حباً ( نش ٢ : ٥ LXX ) .

**المسيح الطافر على الجبال**

٣١ــ إنه يوقظها ، يوقظها من جديد ، لكى تسمع صوته .

إنها تدعوه ليحضر ، فإذا ما دُعِى لا يأتى فقط ، إنما يَأتى قافزاً ! « طافراً على الجبال ، قافزاً على التلال » نش ٢ : ٨ . إنه يطفر فوق النفوس التى لها نعمة أعظم ، ويقفز على تلك التى لها نعمة أقل ! وربما يعنى النص : كيف جاء طافراً ؟ جاء إلى هذا العالم فى شكل طفرة . كان مع الآب ، وجاء إلى عذراء ، ومن العذراء قفز إلى مزود . **كان فى المزود وهو يضيىء فى السماء . نزل إلى الأردن وصعد إلى الصليب . هبط إلى القبر وصعد قائماً من القبر وجلس عن يمين الآب** .

كالإيل الذى يشتاق إلى مجارى المياه ( مز ٤٢ : ٢ ) ، هكذا نزل إلى بولس فأضاء حوله ( أع ٩ : ٣ ) ، وقفز فوق كنيسته التى هى بيت إيل ، أى بيت الله ( مى ٥ : ١ ) ، لأن دعوة بولس هى قوة الكنيسة .

**المسيح يتطلع من الكوى خلف الحائط**

٣٢ــ جاء إذن ، وكان أولاً خلف الحائط ، وذلك لكى يحطم العداوة التى بين النفس والجسد ، بإزالة الحائط الذى بدا كأنه يعوق الانسجام ( نش ٢ : ٩ ؛ أف ٢ : ١٤ ) . ثم يتطلع من الكوى ( نش ٢ : ٩ ) . اسمعوا ما يقوله النبى عن الكوى : « ميازيب من العلاء انفتحت » إش ٢٤ : ١٨ . إنه يعنى الأنبياء الذين من خلالهم نظر الرب إلى جنس البشر قبل أن يأتى بنفسه على الأرض .

٣٣ــ اليوم أيضاً ، إن كانت **نفس ما** تطلبه كثيراً ، فإنها تستحق رحمة عظيمة ، لأن من يطلب كثيراً ينال أكثر . إن كانت **نفس ما** تسعى إليه بغيرة شديدة ، فإنها تسمع صوته آتياً من بعيد ... إنها تراه قافزاً إليها ، أى مسرعاً وراكضاً وطافراً فوق كل الذين لا يقدرون أن يقبلوا قوته لضعف قلوبهم . وبقراءة الأنبياء وتذكُّر كلماتهم ، تراه متطلعاً إليها من خلال أحجبتهم ، ناظراً كما لو كان من كوة ، كما لو كان حاضراً !

تراه واقفاً فوق الشباك ( نش ٢ : ٩ LXX ) . فما معنى هذا ، ما لم تكن الشباك ليست شباكه بل شباكنا نحن ؟ لأن النفس التى لا تزال وسط الأُمور الزمنية المادية ، هذه التى بصفة عامة تأسر فكر الانسان وتطويه . لهذا يُظهِر نفسه خلال الشباك لمن يسعى إليه وهو وسط الأمور الزائلة .

**يجتذب النفس الساعية إليه**

٣٤ــ يقول لمثل هذه النفس ( الساعية إليه ) : « قومى ، اِنهضى ياحبيبتى » نش ٢ : ١٠ ، أى انهضى من ملذات العالم ، قومى من الأمور الأرضية وتعالى إلىّ ، يامن مازلتِ تعملينْ وأنتِ مثقلة ( مت ١١ : ٢٨ ) .

لأنك منشغلة بالأمور الزمنية ، تعالى عَبْرَ العالم ، تعالى إلىّ فانى قد غلبت العالم . اقتربى ، فانكِ جميلة ، مُزيّنة بالحياة الأبدية ، أنتِ الآن حمامة ( نش ٢ : ١٠ ) ، لأنك وديعة ولطيفة . الآن أنتِ مملوءة بالكامل بالنعمة الروحية ، فيليق بكِ ألا تخشى الشباك . هذا حق للغاية ، فإن مَنْ لا تسبيه تجارب العالم وشباكه ( سيراخ ٩ : ١٣ ) تسمو نفسه . فإننا نحن البشر نسير وسط فخاخ ، مُعرَّضون للشباك باشتياقنا للقوت ، أما هو فإذ سكن فى الجسد لم يخش الشباك بل وقف فوقها ، أى فوق تجارب العالم وأهواء الجسد ، وبالأكثر جعل آخرين يقفون فوق الشباك .

## يَهبُ النفس ثمراً

٣٥ــ ومِن ثَمَّ ، فإنه إذ يرغب فى تثبيت تلك النفس يقول : « قومى ، ياحبيبتى ، لا تخشى الفخاخ لأن الشتاء قد مضى » نش ٢ : ١١ ؛ أى قد جاء الفصح ( عيد القيامة فى الربيع ) ، جاء الفصح وغفران الخطايا ، وبطلت التجربة ، وانقضى المطر ( نش ٢ : ١١ ) ، ومضت العاصفة والضيقة . قبل مجىء المسيح كان شتاء ، وبعد مجيئه كانت الزهور . فى هذا الصدد يقول : « الزهور ظهرت فى الأرض » نش ٢ : ١١ ، قبلاً كانت أشواكا والآن توجد زهور . « بلغ أوان القضب » نش ٢ : ١١ . قبلاً كانت قفراً والآن حصاد . « وصوت الحمامة سُمِع فى أرضنا » نش ٢ : ١١ . أحْسَنَ النبى بإضافته « أرضنا » ، إذ يتعجب أنه إذ وُجد قبلاً نجاسة صارت الآن طهارة .

٣٦ــ « التينة اخرجت فجها » نش ٢ : ١٣ . سبق فأمر بقطعها لأنها لم تُعطِ ثمراً ( لو ١٣ : ٧ ) ، لكنها بدأت الآن تُخرج ثمراً .

لماذا تتردَّدون عندما قال « فجها » ؟ لقد عَصَف بالذين جاءوا قبلاً لكى يأتى بالأفضل فيما بعد ، وذلك كما رفض ثمر المجمع اليهودى أما ثمر الكنيسة فيتجدد .

## يحمى النفس فى صليبه

٣٧— بالرغم مِنْ تَوفُّر الهدوء الكامل وبلوغ خطة الخلاص منتهاها ، يقول : « قومى آمنة فى محاجىء الصخر » نش ٢ : ١٣ ، LXX ١٤ ، أى آمنة فى حماية آلامى وخلف حصن الإيمان ، لأنهم « رضعوا عسلاً من حجر ، وزيتاً من صوان الصخر » تث ٣٢ : LXX ١٣ . إذ تتسربل نفس البار بستر الايمان هذا ، لا تتعرَّى الآن بل تكون لها كحصن . لهذا يقول لمثل هذه النفس : « تعالى أيضاً ياحمامتى فى ستر الصخرة بقرب الجدار ( الحصن ) ، أرينى وجهك ، أَسْمَعِينى صوتك » نش ٢ : LXX ١٤ . إنه يحثها على الاتكال عليه فلا تخزى من صليب المسيح وخيمته ( ٢ تى ١ : ٨ ؛ نش ٨ : ٦ ) . إنه يحثها على الاعتراف ؛ يريد لكل الحيل أن تتنَحَّى جانباً حتى تنتشر رائحة الإيمان الزكية ( ٢ كو ٢ : ١٥ ، ١٦ ) ، حتى يُشرِق النهار ببهاء ، ولا يؤذى ظل الليل البهائم . فإن من يقترب من المسيح يقول : « قد تناهى الليل وتقارب النهار » رو ١٣ : ١٢ . يمضى ظل الأمور العالمية ، ويُشرِق نور الأمور السماوية — المسيح — على قديسيه . مثل هذه النفس تنال تأكيدات الحب الزكى .

+ + +

# ٥
# جهاد النفس المؤمنة

## التزام النفس باليقظة

٣٨ــ يلزمنا أن نكون دوماً يقظين ساهرين ، لأن كلمة الله يقفز كغزال أو كالإيل ( نش ٢ : ٩ ) يليق بالنفس التى تطلبه وتتوق إلى امتلاكه أن تكون فى يقظة دائمة ، وتحافظ على وسائل دفاعها . « فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى » نش ٣ : ١ ، كأنه يتسلل إليها .

يلزم أن من يطلب باهتمام ، يطلب وهو فى فراشه ، يطلب فى المساء ، فلا تكون له ليالٍ ولا أجازات ، لا يخلو وقته من خدمة صالحة . وإن لم يجده فى بادىء الأمر فليثابر فى البحث عنه . لهذا تقوم النفس : « إنى أقوم وأطوف فى المدينة ، فى الأسواق ، وفى الشوارع » نش ٣ : ٢ . ربما لا تجده الآن ، لأنها بحثت عنه فى الأماكن العامة حيث دعاوى الحكم والقضاء وفى الشوارع والأسواق ، حيث بضائع للبيع ، فالمسيح لا يمكن أن يُقتنى بأى قدر من المال .

## أين تجد النفس عريسها ؟

[ يرى القديس أمبروسيوس أن النفس المؤمنة تجد عريسها السيد المسيح فى الأماكن التالية :

(أ) فى الأماكن العامة للمدينة : حيث يُقدم زيت النعمة المجانية للجميع ، وحيث يشرب المؤمنون من الينابيع الحية فى الشوارع .

(ب) داخل النفس ، بكونها المدينة المسوّرة بالسيد المسيح والساكن فيها فى نفس الوقت .

(جـ) فى الكنيسة ، أورشليم السماوية ، حيث كلمة التعليم الصادقة وروح العبادة .

٣٩ــ يمكننا أيضا أن نفسر العبارة على النحو الآتى : النفس التى تطلب المسيح على فراشها ، أى تطلبه وهى فى هدوء وسلام ، تبحث عنه ليلاً ، لأنه تحدث بأمثال ( كما فى غموض الليل ) ( مت ١٣ : ١٣ ؛ حز ٢١ : ٥ ) . « جعل الظلمة سترة » مز ١٨ : ١١ ، و « الليل إلى ليل يُبْدى علماً » مز ١٨ : ١١ . وأيضاً « لأن ما نقوله فى قلوبنا نندم عليه فى مضاجعنا » مز ٤ : ٤ . لكنها

لا تجده حتى بهذه الوسيلة ، لهذا تقول : « سأقوم » ، أى أقوم وأضاعف جهدى ، لأبحث عنه بلا هوادة ، سأبحث عنه بدقة ، سأدخل المدينة ( أى تدخل أعماقها بكونها مدينة الله ) . تقول النفس : « أنا مدينة قوية ، مدينة مسوّرة » إش ٢٧ : ٣ LXX . وهى المدينة المسوّرة بالمسيح ؛ المدينة هى أورشليم السماوية ( عب ١٢ : ٢٢ ) التى يوجد فيها مُفَسّرو ناموس الله ورجال حاذقون فى التعليم بوفرة عظيمة ، خلالهم يطلب الإنسان كلمة الله .

« أطوف فى الأماكن العامة للمدينة » — فى الأماكن العامة ، أى الساحات التى يمارس فيها المحامون القانون ، وحيث يُباع الزيت الذى تشتريه عذارى الإنجيل ( الحكيمات ، مت ٢٥ : ٨ ، ٩ ) لكى تستضيىء مصابيحهن على الدوام ، ولا يُطفئها دخان الإثم .

أطوف فى الشوارع حيث تفيض المياه المتدفقة من تلك الينابيع التى يقول سليمان بأنه ينبغى على الإنسان أن يشرب منها .

### لنتطلع إلى ما وراء الملائكة

٤٠— وبينما تطلب ( النفس ) المسيح ، تجد الحراس الذين فى خدمته ( نش ٣ : ٣ ) ؛ لكن النفس التى تطلب الله تتجاوز أيضاً الحراس ، فإنها تطلب الأسرار التى تشتاق حتى الملائكة أن تطلّع عليها . فى هذا الصدد يقول بطرس : « التى أُخبِرْتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم بالإنجيل فى الروح القدس المرسل من السماء التى تشتهى الملائكة أن تَطّلع عليها » ١ بط ١ : ١٢ . الإنسان الذى يتجاوز إلى ما وراء الحراس يجد الكلمة . لقد تجاوز يوحنا فوجد الكلمة مع الآب ( يو ١ : ١ ) .

### المسيح حاضر فى ضيقات مؤمنيه

٤١— يوجد كثيرون يطلبون المسيح فى تَرَفِهم فلا يجدونه ، إنما يجدونه فى الاضطهادات ، يجدونه سريعاً ... لأنه حاضر فى ضيقات مؤمنيه . تقول النفس : « فما جاوزتهم إلا قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسى فأمسكته ولم أُرخِه

( أدَعه يذهب ) » نش ٣ : ٤ LXX ، لأن من يطلب يجد ( مت ٧ : ٨ ) ، ومن يجد يليق به أن يظل قريبا منه حتي لا يفقده .

## المسيح ليس فى القبر !

٤٢ـــ إذ نرى الأسرار السماوية تُمثَّل رمزياً على الأرض من خلال الإنجيل فلنأتِ إلى مريم المجدلية ومريم الأخرى ( مت ٢٨ : ١ ؛ لو ٢٤ : ٣ ، ١٠ ) . فلنتأمل كيف طلبتا المسيح ليلاً فى سرير ( فراش ) جسده ، الذى رقد عليه ميتاً ، حين قال لهما الملاك : « إنكما تطلبان يسوع المصلوب ؛ ليس هو ههنا ، لأنه قام ... لماذا تطلبْن الحىّ بين الأموات ؟! » مت ٢٨ : ٥ ، ٦ ؛ لو ٢٤ : ٥ . لماذا تطلبْن فى القبر ذاك الذى هو الآن فى السماء ؟ لماذا تطلبْن فى قيود القبر من يحرر الجميع من رباطاتهم ؟ ليس القبر سكناه إنما السماء ! لهذا تقول إحداهن : « طلبته فما وجدته » نش ٣ : ١ .

## امسكيه أيتها النفس بالإيمان !

٤٣ـــ إذ ذهبتا تخبران الرسل أشفق يسوع على طالبيه ، إذ قابلهم وقال لهم : « سلام ! » . نهضوا وأمسكوا بقدميه بقوة وسجدوا له ( مت ٢٨ : ٩ ) . يُمْسَك يسوع بقوة ، وهو يُسَرُّ بذلك ، أن يُمسك بقوة بالإيمان . أيضاً المرأة التى لمسته قد أبْهجته ، وقد شفيت من نزيف الدم ؛ إذ قال عنها : « قد لمسنى واحدُ ، لأنى علمت أن قوة قد خرجت منى » لو ٨ : ٤٦ .

المسوه وامسكوه بقوة الإيمان .

إمسكوه بالإيمان جيداً بقدميه ، فتخرج منه قوة وتشفى نفوسكم .

مع أنه يقول « لا تلمسينى ، لأنى لم أصعد بعد إلى أبى » . يو ٢٠ : ١٧ . أمسكوه بقوة ! إنما قال مرة واحدة فقط : « لا تلمسينى ! »

فى وقت قيامته ... قالها لمن ظنت أنه سُرِق ولم يقم بقدرته الذاتية ! لكنكم تقرأون فى إنجيل آخر أنه قال للنسوة اللواتى كن يمسكْن قدميه بقوة ويسجدْن له : « لا تخفن » مت ٢٨ : ١٠ .

تمسكيه أيتها النفس بقوة كما فعلت مريم ( المجدلية ) ، وقولى : « أمسكته ولم أرخه » ، وكما قالت المرأتان أيضاً : « نحن نمسكك بقوة » .

اذهب إلى الآب، لكن لا تترك حواء خلفك لئلا تسقط مرة أخرى! خذها معك، لأنها الآن لا تجول شاردة بل تتمسك بقوة بشجرة الحياة. أمسك بها فتلتصق هى بقدميك وتصعد معك. لا تَدعْنى أذهبُ (بعيداً عنك) لئلا تنفث الحية سمَّها مرة أخرى، وتحاول لدغ قدم المرأة فتُسْقِط آدم (تك ٣: ٥).

لتقل نفسك : « فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمى وحجرة مَنْ حبلت بى » نش ٣ : ٤ ، ٨ : ٢ .

لأعرف أسرارك وأنهل من تعاليمك .

خذ حواء ، ولكن ليست وهى مغطاة بأوراق التين ( تك ٣ : ٧ ) . وإنما وهى مكسُّوة بالروح القدس ومجيدة بنعمة جديدة . لذلك فهى لا تختبىء كمن هى عريانة ( تك ٣ : ٨ــ١٣ ) ، إنما تأتى لمقابلتك متسربلة بثوب بهى ساطع ، إذ تصير النعمة ثوبها . وذلك كما كان آدم فى البداية حيث لم يكن عارياً لأنه كان مرتدياً البراءة .

## التصقى به واصعدى معه بالصلوات الورعة والأمانة

٤٤ــ تراها بنات أورشليم ( نش ٣ : ٥ ) وهى ملتصقة بالمسيح ولا تزال تصعد معه ، إذ يَقْبل أن يلتقى مع مَنْ يطلبونه ويستجيب لهم ليرفعهم ؛ فيقلْنَ : « من هذه الطالعة من البرية ؟ » نش ٣ : ٦ ، إذ تبدو هذه الأرض برية قاحلة . فهى مملوءة بحسك خطايانا وأشواكها . إنهن يتعجَّبْن كيف أن نفساً قد هُجِرت قبلاً فى الجحيم تلتصق بكلمة الله وترتفع كغصن الكرمة الذى يعلو فى المناطق المرتفعة أو كدخان صادر من النار يطلب المرتفعات ، وهى معبَّقة بأطياب ذكية . ها رائحة صلاة ورعة زكية تنبعث كبخور قدام الله . نقرأ فى الرؤيا أنه قد « صعد دخان البخور مع صلوات القديسين » رؤ ٨ : ٤ ( مز ١٤١ : ٢ ) .

ويُقدِّم البخور — أى صلوات القديسين — بواسطة ملاك « على مذبح الذهب الذى أمام العرش » رؤ ٨ : ٣ .

إنها بحق معبقة بالدهن الحلو للصلاة الورعة ، فقد أُعِدَّ الدهن بالصلوات لأجل الأبديات غير المنظورة ، وليس لأجل الأمور الجسدانية .

أكثر من هذا ، فإن النفس معطَّرة بالبخور والمرّ ( نش ٣ : ٦ ) ، لأنها ميتة عن الخطية وحيّة لله ( رو ٦ : ٢ ، ١١ ) .

**اصعدى معه كعروس تتمتع بتخت سليمان**

٤٥— تراها ( بنات أورشليم ) تصعد دون عائق ، فتفرحْنَ لشذى استحقاقاتها الطيب ، إذ يعرفْن أيضاً أنها عروس سليمان صانع السلام ، لهذا تتبَعْها فى موكب موالٍ حتى تخت سليمان ( نش ٣ : ٧ ) ، لأن الراحة الحقيقية اللائقة بها هى فى المسيح الذى هو تخت القديسين ، الذى فيه تستريح قلوب جميع المثقلين بحروب العالم . على هذا التخت استراح اسحق ، وبارك ابنه الصغير ( تك ٢٧ : ٢٧ ) ، قائلاً : « الكبير يُستعبد للصغير » تك ٢٥ : ٢٣ . وإذ اتكأ يعقوب على هذا التخت بارك الاثنى عشر بطريركاً ( تك ٤٨ : ٢ ، ٤٩ ) . وبالاستلقاء على هذا التخت قامت ابنة رئيس المجمع من الموت ( مز ٥ : ٣٥—٤٣ ) . وبالرقاد على ذلك التخت حطم ابن الأرملة الميت قيود الموت حينما دعاه صوت المسيح ( لو ٧ : ١١—١٧ ) .

**تمتعى بأغنية الحب الزيجى**

٤٦— وحينما أُقتِيدتْ العروس إلى موضع الراحة فى عرسها غنت بنات أورشليم لها أغنية الزواج وعبَّرْن عن الحب : « أخرجْن وأنظرْن الملك سليمان بالتاج الذى توَّجْته به أمه فى يوم عرسه » نش ٣ : ١٠، ١١ . إنهن يُرنّمْنَ أغنية الزفاف ويدعون القوات السمائية الأخرى أو النفوس لترى حب المسيح نحو بنات أورشليم ( نش ٣ : ١١ ) . بهذا استحق أن تُتوّجه أمه ، كابن مُحّب ، وكما يوضح بولس قائلاً : « أُنقذَنا من سلطان الظلمة ، ونقلنا إلى ملكوت ابنه المحب

( ابن محبته ) » كو ١ : ١٣ . فهو إذن ابن المحبة وهو محبة . إنه لا يقتنى الحب عرضاً لكنه يملكه فى جوهره ...

يُقال: «أُخرجْنَ» أى «أُخرجْنَ من حدود الجسد »، أُخرجْنَ من أباطيل العالم، وانظرْنَ كيف يحمل ملك السلام الحب فى يوم عرسه، كيف هو مملوء بالمجد، إذ يَهَب قيامة للجسد ويوحّد النفس به (بالمسيح). هذا هو إكليل الجهاد العظيم. هذه هى الهبة الرائعة لزواج المسيح: دمه وآلامه! ماذا يمكن أن يُعطى أكثر من هذا؟ إنه لم يبخل بنفسه بل بذل ذاته بالموت لأجلنا (رو ٨: ٣٢).

## استوطنى مع العريس السماوى

٤٧ــ إذ يفرح الرب يسوع نفسه بإيمان هذه النفس واعترافها ونعمتها ، يمتدح استحقاقها ، ويدعوها إلى الاقتراب منه ، قائلاً : « هلمى معى من لبنان يا عروسى . تعالى معى من لبنان ، ستأتين . أجّل ، تعالى آمنة من المنبع الذى هو الإيمان ، من رأس شنير وحرمون ، من خُدور الأسود ، من جبال النمور » نش ٤ : ٨ LXX . أى اخرجى من الجسد ، وتجردى منه تماماً ، فإنه لا يمكنك أن تكونى معى ما لم تخرجى عن الجسد ، لأن الذين هم فى الجسد متغربون عن ملكوت الله ( ٢ كو ٥ : ٨ ) .

« تعالى .. تعالى » . التكرار هنا حسن .لأنكم سواء كنتم حاضرين ( فى الجسد ) أم غائبين ( عنه ) يلزمكم أن تستوطنوا عند الرب إلهكم وأن تسرّوه . تعالوا عندما تكونون حاضرين ، وتعالوا عندما تكونون غائبين ، وأنتم لا تزالون فى الجسد ، لأنه بالنسبة لى فجميعكم حاضرون يا مَنْ إيمانهم معى .

إنه معى ، ذاك الذى يخرج من العالم .
إنه حاضر معى مَنْ غاب عن ذاته .
إنه مستوطن عندى مَنْ ينكر نفسه ( مز ٨ : ٣٤ ) .
هو معى مَنْ ليس داخل نفسه، لأنه مَنْ كان فى الجسد لا يكون فى الروح.
إنه معى مَنْ يخرج عن ذاته .

إنه يقترب منى مَنْ كان خارجاً عن ذاته .
إنه بكلّيته لى مَنْ فقد حياته لأجلى ( مت ١٠ : ٣٩ ) .

تعالى ، تعالى ، ياعروسى . إنك ستأتين أمـان تعالى آمنة من المنبع الذى هو الإيمان . إنها تأتى ، أجل تأتى فى أمان من الأرض ، تأتى فى أمان اذ تجىء إلى المسيح . تأتى باستحقاق الإيمان ، ومجد الأعمال التى تُشرق مثل شير وحربون ، أى تأتى فى طريق نور وقد غَلبت تجارب العالم ، وقهرت أرواح الشر ( أف ٦ : ١٢ ) . تطلب إكليل الجهاد القانونى وتستحق أن تُمدح من المسيح الديّان .

## عريسك يمتدح طهارتك

٤٨ـــ « أنتِ جنة مغلقة يا أختى العروس ، جنة مغلقة ، ينبوع مختوم ، أغراسك فردوس رمان مع أثمار أشجار ونباتات عطرة » نش ٤ : ١٢ ،١٣ . LXX

تُمدح العروس لأنها جنة ، لها فى داخلها أريج حقل مثمر ، يقول عنه اسحق : « رائحة ابنى كرائحة حقل مبارك ( مثمر ) » تك ٢٧ : ٢٧ . النفس الصالحة تكسب شذى البر ...

الجنة مغلقة حتى لا تغزو الحيوانات الضارة النفس ، والينبوع مختوم لتغسِل آثامها بكمال الختم ( ختم المعمودية ) وبثباتها فى الإيمان .

الينبوع الذى ينبع من الكنيسة يحمل ما يُنسَب إلى نعمة البتولية . دُعِىَ بحق ينبوعاً مختوماً ، لأن صورة الله غير المنظور ( كو ١ : ١٥ ) متمثلة فيه .

يوجد أيضاً مديح للنفس التى يرسلها العريس فتأتى متشحة بها . عطايا النفس الورعة هى الأطياب الزكية التى للمّر والزعفران التى تفوح فى الجنات الجميلة والتى تنزع نتانة الخطايا .

### عريسك يطلب ثمرك

٤٩ــ إذ لا تنزعج بهذا الإعلان العظيم تسأل ريح الشمال العاتية أن تسكن حتى لا تحطم الزهور ، وأن تهبّ ريح الجنوب ، أى أنها تريد أن ينتهى الشتاء وتحل نسمات فصل ألطف هو الربيع ( نش ٤ : ١٦ ، ٢ : ١١ ) .

إنها تدعو عريسها إلى جنتها ( نش ٤ : ١٦ ) ، لينزل ويبتهج بتنوّع ثمارها ، يفرح إذ يجد طعاماً أقوى وأحلى . يوجد نوع من خبز الكلمة والعسل ، يوجد حديث اكثر غيرة واقناعاً . يوجد إيمان يُعطى دفئاً أكثر من الخمر ، واكثر نقاوة يشبه مذاق اللبن . يقتات المسيح فينا من هذا الطعام ويشرب من هذا الشراب .

يطالبنا بالخمر المسكر الذى به نرحل عن الأمور الدنيا إلى ما هو أفضل .

\+ + +

## ٦

# يقظة النفس الهائمة حباً

[ يجد مسيحنا فى النفس المقدسة جنة روحية تحمل ثماراً متنوعة ، للأكل والشرب . خمرها المسكر يَهب للإنسان هياماً فى الحب ، تنسى كل الأمور الزمنية لترتفع نحو السمويات باتحادها مع عريسها . تسكر بالحب فتنام فيتقدم إليها عريسها

(أ) لكى يُقظها ؛
(ب) يقرع على بابها ؛
(جـ) يُنهضها من سريرها ؛
(د) يكشف أسراره لها ؛
(هـ) يجتذبها إليه بحبه ؛
(و) يستر عليها بالحب ؛
(ز) يشبعها بالحنطة السماوية .

## المسيح يُقظ النفس الهائمة حباً

٥٠ــ عندسماعها ذلك ، تسكر النفس بالأسرار السماوية ، وكأنها تنام بالخمر ، كأنها راقدة فى نشوة أو فى سبات ، فتقول : « أنا نائمة وقلبى مستيقظ » نش ٥ : ٢ . وإذ يغشاها النور الذى يسببه حضور الكلمة ما أن ترقد وعيناها مفتوحتان حتى يوقظها الكلمة . هنا يتحقق التقدم الرابع للنفس :

أولاً : إذ يَنْفذ صبر حبها ولا تحتمل تأخير الكلمة عنها تسأله أن تتأهل لقبلاته ( نش ١ : ٢ ) ، وأن ترى حبيبها ، وتُقتاد إلى حجال الملك .

ثانياً : إذ كانا يتحدثان إلى بعضهما البعض استراحت فى ظله ( نش ٢ : ٣ ) ، وفجأة رحل عنها الكلمة وسط حديثهما،لكن لم يغب طويلاً . لأنه ما أن طلبته حتى جاء طافراً على الجبال ، قافزاً على التلال ( نش ٢ : ٨ ) . وبعد برهة قصيرة وكغزال أو وعل ( نش ٢ : ٩ ) وبينما يخاطب محبوبته طفر وتركها .

ثالثاً : على الرغم من أنها لم تجده وهى تطلبه ليلاً وهى فى الفراش ( نش ٣ : ١ ) ، فى المدينة والساحات والشوارع ( نش ٣ : ٢ ) فإنها أخيراً استعادته بصلواتها وبالنعمة ، لهذا دعاها العريس إلى الاقتراب منه .

رابعاً : الآن يوقظها من النوم مع أنها كانت متيقظة بقلبها لتسمع صوته فى الحال حين يطرق الباب ( نش ٥ : ٢ ) ، لكنها بينما تنهض تأخرت قليلاً إذ لم تقدر أن تجارى رَكض الكلمة . إذ فتحت الباب مَرّ الكلمة وعبر ( نش ٥ : ٥،٦ ) . خرجت على كلمته وبحثت عنه وهى مجروحة بجراحات الحب . وأخيراً بصعوبة وجدته وعانقته حتى لا تفقده . لقد تعرضت لهذه الأمور التى ذكرناها فى إيجاز واقتضاب ؛ لنتأملها الآن واحدة فواحدة .

**المسيح يقرع باب النفس ليستريح فيها**

٥١ـــ حتى إن كنت نائماً وجاء المسيح فقط ليعرف تكريس نفسك ، إنما يأتى ويطرق الباب ، قائلاً : « افتحى لى يا أختى » نش ٥ : ٢ . حسناً تُستَخدم كلمة « أخت » ، لأن زواج الكلمة والنفس روحى . النفوس لا تعرف عهود الزواج أو أساليب الاتحاد الجسدانى ، لكنها كملائكة فى السماء ( مت ٢٢ : ٣٠ ) .

« افتحى لى » ، وأغلقى أمام الغرباء . أغلقى أمام الأزمنة وأمام العالم . لا تخرجى خارج الأبواب إلى الماديات . لا تهجرى نورك لتبحثى عن نور الآخرين . لأن النور المادى يسبب عتمة داكنة فلا تُرى نور المجد الحقيقى ، لهذا « افتحى لى » .

**لا تفتحى للخصم ، ولا تعطى مكاناً لإبليس .**
**افتحى لى ذاتك ، لا تكونى ضيقة بل اتسعى وأنا أملأك .**

أثناء عبورى فى العالم صادفت متاعب جمة ومضايقات ، ولم أجد موضعاً أستريح فيه ، أفلا تفتحى إذن حتى يسند ابن الإنسان رأسه عليكِ ، إذ لا يجد راحة ( لو ٩ : ٥٨ ) إلا فى الوديع والمتضع .

**المسيح يُنهض النفس المحبة**

٥٢ـــ إذ تسمع النفس « افتحى لى » ، « رأسى امتلأ من الطّلِ » ( نش ٥ : ٢ ) ، النفس التى باغتتها التجارب وأزعجتها فى العالم ، وقد أمرت أن

تنهض ، وها هى على وشك القيام ، تتحدث وقد تعطرت بالصبر والمرّ ( نش ٥ : ٥ ) علامة الدفن ، وتقول : « قد خلعت ثوبى ، فكيف ألبسه ؟ قد غسلت رجلىّ ، فكيف أوسخهما ؟ » نش ٥ : ٣ . لأنها تخشى أن تستيقظ ثانية فتحل بها التجارب وتعود مرة أخرى إلى الإثم والخطية ، **فتبدأ فى تلويث بدنها وتقدمّها** فى الفضائل بخطوات عالمية . بهذا تؤكد كمالها فى الفضيلة ، هذه التى استحقت حب المسيح العظيم ، فيأتيها ويطرق بابها ويأتى والآب ليتعشى مع النفس وهى معه تماماً كما قال فى سفر الرؤيا ( رؤ ٣ : ٢٠ ؛ يو ١٤ : ٢٣ ) . ولأنها سمعت فى نص سابق : « تعالى من لبنان ياعروسى ، تعالى من لبنان » نش ٤ : ٨ ، ولأنها أدركت أنه لا يمكنها أن توجد فى المسيح فى الجسد لكنها تكون معه فيما بعد ، وإن كانت حاضرة فى الروح ، فقد سلّمت ذاتها لمشيئته حتى تُشبِه صورة المسيح ( رو ٨ : ٢٩ ) . الآن لا تعى آثار الجسد وإنما كروح قد جردت نفسها من رباطات الجسد . كأنها قد نسيت اتحادهما ولم تعد تتذكر ذلك حتى إن أرادت ، لذا تقول : « قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه ؟ »

لقد خلعت ثوب الجلد الذى استلمه آدم وحواء بعد خطيتهما ( تك ٣ : ٢١ ) ، ثوب الفساد ، ثوب الشهوات .

« كيف ألبسه ؟ » إنها تطلب ألا ترتديه مرة أخرى ، لأنها تعنى بقولها هذا أنه قد طُرح بعيداً ولم يعد الآن غطاءً .

« قد غسلت رجلىّ فكيف أوسّخهما ؟ » ، غسلت رجلىّ لأذهب وأنأى بنفسى عن الارتباط بالجسد ( شهواته ) .

« كيف أوسّخها » بأن أعود إلى قيد الجسد وسجن شهواته المظلم .

## المسيح يكشف أسراره للنفس المحبة

٥٣ــ إذ كانت تقول هذا أُرسَل الكلمة عمله الصالح خلال فتح الباب ، وإن لم يكن ذلك وجهاً لوجه لكنه جعله بين يديها ، إن جاز التعبير ( نش ٥ : ٤ ، ١ كو ١٣ : ١٢ ) .

« أنَّ عليه قلبى ، قمت لأفتح لأخى ويداى تقطران مراً وأصابعى مرّ قاطر على مِقْبض القفل » نش ٥ : ٤ـ٥ . فلنتأمل فى معنى ذلك . أولاً ، يُرى الله الكلمة فى أعماله ـــ كما قلت ـــ كما من فتحة فى الباب ولا يُرى كاملاً بالتمام . عندئذ يزداد حبها الذى ما أن يُرزع حتى ينضج ... فتتوق أن ترى ملء كمال لاهوته الحال فيه جسدياً كما قرأنا ( كو ٢ : ٩ ) .

قامت لترى كلمة الله العجيب عن قرب ، هنا يُعبّر عن تقدّمها ، إذ تنهض بقوة الفضيلة . بحضور الكلمة تتهلل النفس فى الفضيلة كما حدث عند حضور مريم التى حملت بالطفل ( يسوع ) ، أرشد يوحنا الذى كان فى الرحم فركض متهللاً لمعرفته بحضرة الرب ( لو ١ : ٤٤ ) .

قامت النفس لتفتح وقد ماتت أعمالها عن العالم ، فإن النفس التى تقترب من قبول الكلمة يجب أن تموت عن العالم ( غل ٦ : ١٤ ) ، وأن تُدفَن مع المسيح ( رو ٦ : ٤ ؛ كو ٢ : ١٢ ) ، هكذا نجد المسيح ، وهكذا يكون الاستقبال الذى يطلبه لنفسه . تُمات نفس أعضاء ( أدوات ) الأعمال الصالحة ، أعنى بذلك اليدين والأصابع التى بها تُمسَك المسيح ... لكى تُمسِك الكلمةَ بيديها الروحيتين تقول النفس التقية انه ذهب ، لكن ليس إنهلايزال يعبر ( نش ٥ : ٦ ) . هذه علامة على التقدم لأن كلمة الله يمضى ويعبر خلال النفس . وكما هو مكتوب : « وأنت أيضاً يجوز فى نفسك سيف ، لتُعلَن أفكار من قلوب كثيرة » لو ٢ : ٢٥ . فى هذه الحالة يكون هناك فعل الذهاب لا العبور ، ربما كما جازت نفس مريم فيما بعد حينما جُعِل الرب يسوع خاتماً فى وسطها ( نش ٨ : ٦ ) .

## المسيح يجتذب النفس المُحبة

٥٤ـــ يوجد تقدم آخر فى ذهاب الكلمة ، لأن النفس تخرج على كلمته ، أى تتبع كلمته . تخرج من الجسد وتسمو فوق مسكنها ، مُتغرّبة عنه ، لكى تستوطن عند الله ، وتصير رعية مع القديسين ( أف ٢ : ١٩ ) . **لأنه لا يمكننا أن نكون عبيداً للجسد ولله فى وقت واحد** . بهذا يكون المعنى ـــ كما قلت ـــ **إن النفس تنطلق بانسحابها من اللذات الجسدية** .

مكتوب أيضاً : « اخرجوا من بابل ؛ اهربوا من أرض الكلدانيين » إش ٤٨ : ٢٠ . يُنذِر العبرانى بكلمات النبى لا لكى يهرب حقاً من أرض البابليين وإنما من سيرتها الأخلاقية ، إذ كان العبرانيون فى أرض بابل ، وظهروا بسلوكهم الأخلاقى أنهم قد رحلوا عنها . عن هؤلاء يقول المرتل إنهم جلسوا على أنهار بابل مز ١٣٧ : ١ ) . هم مكثوا فعلاً فى أرض بابل لكنهم لم يكونوا فى رذائلها المخزية . وفى خضم تلك النقائص المشينة بكوا وتابوا لأنهم سقطوا عن تابوت الإيمان والعبادة التقوية وعن الفضيلة واستحقاقات آبائهم .

النفس التى تخرج تسير بكلمته ( فى طاعة لها ) إنما تطلب الكلمة .

## المسيح يستر على النفس المحبة

٥٥ــ حين كانت ( النفس ) تطلب ( الكلمة ) مَرَّت بالحراس الذين كانوا يطوفون بالمدينة . « ضربونى ، جرحونى ، حفظة الأسوار رفعوا إزارى عنى » نش ٥ : ٧ . حسناً كان هذا الوصف ، فإنها كعروس جاءت وقد غطت رأسها بإزارها لكى تقابل العريس . هكذا صنعت رفقة حين علمت أن اسحق قادم لملاقاتها ، نزلت عن الجمل وغطت نفسها بإزار ( برقع ) ( تك ٢٤ : ٦٥ ) . هكذا النفس التى تحمل علامة ثوب العرس لئلا تُطرَد خارجاً فى حالة عدم ارتدائها ثوب العرس ( تك ٢٤ : ٦٥ ) ، وترتديه لتغطى رأسها من أجل الملائكة ( مت ٢٢ : ١٢، ١٣ ) .

ضربها الحراس امعاناً فى امتحانها ، إذ تُمتَحن النفوس بالتجارب . نزعوا عنها الإزار لأنهم كانوا يبغون معرفة إن كانت تحمل جمالاً حقيقياً للفضيلة المكشوفة ( العارية ) ، أو لأن مَنْ يدخل الملكوت السماوى يلزم أن يكون بلا ملابس ، غير حامل أى غطاء ...

هناك من يطلب ألا تحمل النفس أى آثار للبهجة الجسدانية وشهوات الجسد . تتعرَّى من الثوب حين ينكشف ضميرها . هناك أيضاً النفس التى تتعرَّض بنيّة صالحة حين يُسمح لها أن تمتثل بالمسيح القائل « رئيس هذا العالم

يأتى وليس له فىّ شىء » يو ١٤ : ٣٠ . لا يجد شيئاً فيمن لا يخطىء ( ١ بط ٢ : ٢٢ ) . طوبى للنفس التى لا يجد فيها خطايا خطيرة أو كثيرة ، إنما يجد فيها ثوب الإيمان وتدبير الحكمة .

## المسيح يشبع النفس المحبة

٥٦ــ من ثَمَّ لا تفقد ( النفس ) شيئاً ، لأنه ما من إنسان يضيع مادامت له الحكمة الحقيقية ، فإنه وإن أثار الخصم فتنة ضده يبقى كمال حياته غيرالملومة تشرق على الدوام . هكذا بدون تحقيق خسارة تجاوزت النفس الحرس ولحقت ببنات المدينة السماوية تطلب الكلمة ، وبسعيها إليه تستثير حبه لها . إنها تعرف أين تبحث عنه ، إذ تعرف أنه يتأخر بين صلوات قديسيه ويظل قريباً منهم ، وتعلم أنه يقوت كنيسته وأنفس أبراره وسط السوسن ( نش ٢ : ١٦ ) .

يُعلن لكم الرب هذا السر فى الإنجيل ، إذ قاد تلاميذه وسط سنابل القمح يوم السبت ( مت ١٢ : ١ ؛ مر ٢ : ٢٣ ؛ لو ٦ : ١ ) ، أما موسى فقاد شعب اليهود عبر البرية . قادهم المسيح عَبْر سنابل القمح ، وسط السوسن ، لأنه بآلامه أينعت البرية كسوسنة ! فلنتبعه إذن ، ولنقطف الثمار فى السبت العظيم ، الذى فيه نجد راحة عظيمة ( لا ٢٣ : ٢٥ ؛ يو ١٩ : ٣١ ) . لا تخشوا اتهام الفريسيين ضدكم إنكم تجمعون الحنطة . فإنهم وإنْ اتهموكم فإن المسيح يغفر لكم ويصفح عنكم ( لو ٦ : ٣ــ٥ ) ، ويجعل الأنفس التى يريدها أن تتبعه أن تصير مثل داود الذى أكل خبز الوجوه متعدياً الناموس ، إذ سبق فأدرك فى فكره الأسرار النبوية الخاصة بالنعمة الجديدة .

+ + +

٧

# سمات النفس العروس

## مُبهجة وكاملة وجميلة

٥٧ـــ يمتدحها العريس لأنها طلبته حسناً وبإصرار ، وهى الآن تُدعى فقط أختاً ، بل أيضا مبهجة ، إذ هى سرور ذاك الذى هو موضع سرور الآب ( مت ١٧ : ٥ ) ، وجميلة كأورشليم وموضع إعجاب فى تنظيمها ( أو هندامها ) ( نش ٦ : ٣ ) . **لأنها تحمل كل أسرار المدينة السماوية ، تُثير إعجاب كل من يتطلع إليها . لأنها مثل البر الكامل التام تكتسب بهاءها من نور الكلمة ، وتسعى جاهدة نحوه على الدوام** . تصير أيضا مُرهِبة كلما تقدمت فى تدبيرها إلى مرتفعات الفضيلة .

لهذا يقول لها كما إلى شخص كامل : « حوِّلى عنى عينيكِ » نش ٦ : ٥ ... فمن فيض الإيمان والتقوى قد تجاوزت قدرتها الطبيعية ؛ لكنه أمْر صَعْب أن تنظر مباشرة إلى النور الذى لا يُدْنى منه ( ١ تى ٦ : ١٦ ) . « حوِّلى عنى عينيكِ » ، لأنهما لا يستطيعان احتمال ملء اللاهوت وبهاء النور الحقيقى .

يمكننا أيضاً تفسير « حوّلى عنى عينيكِ » هكذا : وإن أصبحْتِ كاملة ، فإننى ملتزم أن أُخلّص نفوساً أخرى وأقويها ، فإنكِ إذ تتطلعّين إلىّ تمجديننى ( تنشغلى بمجدى دون اهتمام بخلاص إخوتك ) لكننى نزلت لكى أمجد كل البشر ( يو ٦ : ٣٨ـــ٤٠ ) . إن كنت قد قمت وها أنا فى عرش الآب ( عب ٨ : ١ ؛ ١٢ : ٢ ) لن أترككم يتامى ( يو ١٤ : ١٨ ) ، محرومين من عون أب ، إنما بحضورى أقويكم . هذا ما تجدونه مكتوباً فى الإنجيل : « أنا معكم حتى انقضاء الدهر » مت ٢٨ : ٢٠ ...

[ يرى القديس أمبروسيوس أن السيد المسيح، كمعلم كل البشرية، ينبغى ألاَّ ينشغل الإنسان الكامل بالتطلع إلى أمجاد المخلّص كمن يُشغِله عن الاهتمام بخلاص صغيرى النفوس. إنه يتحدث كما بلغة البسطاء لكى يُظهِر لنا مدى انشغاله بالنفوس البعيدة والمحرومة منه . وبهذا يحثنا أن نجاهد فى خلاص إخوتنا ، ولا نقول مع القديس بطرس : جيد أن نكون ههنا . ]

تأملوا الآن معلماً يرغب فى أن يشرح لسامعيه أمراً غامضاً . فمع كونه متحدثاً لبقاً يجيد الكلام ، لكن يليق به أن ينزل إلى مستوى جهل غير الفاهمين ليستخدم معهم لغة الحديث اليومى البسيط والسهل حتى يفهموه . فمن كان حصيفاً سريع البديهة بين سامعيه يقدر أن يتتبَّعه بسهولة ... وعندمايقع نظره عليه يكبحه المعلم لكى يسمح له أن يقضى وقتاً بالحرى مع مَنْ هم أكثر منه اتضاعاً وأقل منه فى المستوى ، حتى يستطيع غيره أن يتابع المعلم .

## أعمالها مُشرقة ومدوية

٥٨ــ كما جاء فى اكيلا Acylas [ ربما يقصد ترجمة Aquila ] « مدوية كمن هى مُعلنة » نش ٦ : ٩ .

إنها مدوية ، إذ عجيبة هى أعمالها فى قدرتها وغِنَى فاعليتها .

إنها مُعلَنة ، وذلك لضياء أعمالها ، إذ تُشرق أعمال النفس فى حضرة الآب السماوى ( مت ٥ : ١٦ ) . لهذا تفهمون أن إزارها لم يُخلع بلا سبب ، لكنها وإن كانت عارية لكنها متألقة فى استحقاقاتها .

## تتسم بوحدة الروح

٥٩ــ تُمتدَح بالأكثر لأنها أمينة وقوية فى حديثها ، وفيرة هى ثمارها العديدة المتنوعة . إنها كحمامة واحدة ( نش ٦ : ٩ ) ، لها وحدانية الروح الذى فيه سلام يجعل الاثنين واحداً ( أف ٢ : ١٤ ) . تتألف من عناصر متغايرة ذات طبيعة مختلفة متقابلة . أى شيء غير متجانس مثل النار والماء ، الهواء والأرض ، الذى منه يتألف المخلوق جسمنا ؟ هكذا أيضاً « مباركة هى النفس الصادقة بالتمام » أم ١١ : ٢٥ LXX التى تتشبَّه بالقائل : « ليكون الجميع واحداً ، كما أنك أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا » يو ١٧ : ٢١ . هذا هو تحقيق الكمال والتمام . بهذا النحو أضاف أيضاً : « ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد . أنا فيهم وأنت فىّ ليكونوا مكملين إلى واحد ( وحدة ) » يو ١٧ : ٢٢ ، ٢٣ . لهذا مثل هذه النفس هى حمامة واحدة ، صادقة وروحية ،

لا تضطرب بشهوات الجسد مع وجود صراعات من الخارج ومخاوف من الداخل ( ٢ كو ٧ : ٥ ) .

يعلمنا الكتاب المقدس أن لفظة « وحدة » تعنى التوافق والسلام ، إذ قيل : « وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ولم يكن انقسام بينهم » ( أع ٤ : ٣٢ ) .

**مُخصبة ومثمرة**

٦٠ـــ تُمدَح النفس لخصوبتها ، وذلك ليس بدون سبب ، من جهة لأنها ولود فى الفضائل ، ومن جهة أخرى أنها بلا شر فى ذاتها . إنه لأمر جميل ألا يوجد شر ، إنه جميل ما هو صالح ، أما الشر فليس بجميل . الخصوبة فى الأعمال الصالحة جميلة ؛ أما العقم فمضاد للجمال ، إذ يوجد شر فيما هو محروم من الجمال واللياقة . ما هو شر فهو عقيم وغير مخصب . وما أدل على ذلك ما تقدمه الطبيعة . الأرض الجيدة خصبة ومثمرة ، أما الرديئة فمجدبة وبور ...

كان مناسبًا ما قيل بالنسبة للرب نفسه بعد أن جعل الكنيسة تزداد خصوبة : « الرب قد ملك ، لبس الجلال » مز ٩٣ : ١ . وفى نص آخر : « مجداً وجلالاً لبِسْتَ » مز ١٠٤ : ١ . واضح إذن إن ما هو ولود وخصيب جميل ، وما هو عقيم قبيح .

حال النفس كحال التربة ، فالنفس تكون جميلة إن كانت وفيرة فى استحقاقاتها وفى المشورة ، وأما النفس العقيمة ( والمشغولة بالماديات ) فهى قبيحة ، لأن العقم هو ضعف فى النفس ، يجردها من ثمرها ويخدعها . يجعلها فى عوز ويثير مخاوف ، يضاعف الشهوات الشرهة والأفكار الخاملة فتسقط !

وما الشر إلا غياب للخير ؟ تنخدع بمالها فتحتاج إلى ما يخص الغير ؛ تكون فارغة ليس من حد أو قياس يملأها . أيضاً تظلم المادة نعمة النفس . والجهل والشهوة الدنسة هما مرضا النفس ...

[ يرى القديس أمبروسيوس أن الشباب دون الأطفال والشيوخ يتمتعون بصحة قوية ، **وهذا خير ، لكن جهل الشاب للخير أو تجرده منه يثير فيه الشهوة الجسدية** ، فيتحول ما هو خير إلى شر ... بهذا يرى أن الشر هو غياب للخير . ]

## تدرك النفس الله كمصدر لخيرها

٦٠ــ هذا هو اهتمام النفس الطاهرة ، هذا ما تدركه داخلياً : تدرك الله وتبقى فى كل الأمور الصالحة . على هذا الأساس تقول : « حلقُهُ حلاوة وكله مشتهيات » نش ٥ : ١٦ . لأن الله صانع كل خير ، وكل الموجودات هى منه . ليس من شر فى أى موضع ( بل هو منا ) ، إن سكن ذهننا فى الله لا يعرف الشر . أما النفس التى لا تستوطن عند الله فهى صانعة شرورها بذاتها ، ومن ثَمَّ تخطىء ، والنفس التى تخطىء تموت ( حز ١٨ : ٤ ، ٢٠ ) . إذ تتخلى عن رباطات الفضيلة الذهبية تُحمَل رأساً إلى شفا كارثة وتسقط فى مواضع دنيا .

طوبى للنفس التى لا يغلبها أى صراع مضاد فى الجسد ، فإن مثل هذه النفس تطير كعصفور من فخ مكسور ( مز ١٢٤ : ٧ ) ــ لأن ملذات الجسد هى غذاء الشرور . من يلتفت إليها يسقط فى فخ .

## ترفض النفس ظلمة الشر فتشرق كالفجر

٦٢ــ أما بالنسبة لمن يمتنع عن هذا الغذاء ( الشر ) وعن الظلمة فتُشرق نفسه كالفجر . وعنها قيل : « من هذه المشرقة مثل الصباح ، جميلة كالقمر ؟ نش ٦ : ٩ LXX . فإنها تشرق كما من بيت حرّ ، ولا تقول : « الظلمة حولى والحيطان تُخفينى ، ومن يدرى إن كان العلىُّ يرى ؟! » سيراخ ٢٨ : ١٨ . بالحرى تطلب النور ، وتجلس فوق العالم كأنها فى عُليّة بيتها ــ أى جسدها ــ تحدق فى الإلهيات ، وترتفع إلى الأبديات ، لتكون مع الله ، تكشف نور أعمالها ، كما يكشف القمرعن سطحه للعالم كله .

٦٣ــ أما بالنسبة لعبارة أكيلا : « **مدوية كالشمس** » ، فيبدو أن دوران محور السماء : حركة الشمس والقمر والنجوم وتناسق المدارات ، كل هذا يُعرض هنا فيستحسنه بعض المسيحيين ، بينما لا يُقابل هذا التناغم بالتصديق ( ربما عَنِىَ أن الإيمان أعظم من التناسق فى حركات الكواكب ) ...

# ٨
# دور المسيح فى كنيسته المتألمة

## نزول الكنيسة إلى مرارة التجارب

٦٤ـــ بينما تتلقى المديح من العريس إذا بها فى اتضاع تأبَى أن تتقبَّله فى حضرته .

دُعِيتْ من بواعث حب العريس لتقول : « نزلت إلى جنة الجَوْز لأعاين مولد السيل » نش ٦ : ١١ . الآن ، أين هى الكنيسة إلاّ حيث توجد عصا الأسقف التى تفرخ ( عد ١٧ : ٨ ) ، وحيث توجد مواهبه الروحية ؟ توجد هناك لتُمتَحن بالمرارة والتجربة ؛ فالجوّز يعنى المرارة ، والسيل يعنى التجربة ، لكن التجربة التى يمكن احتمالها ، كما هو مكتوب : « عَبَرتْ أنفسنا سيلاً » مز ١٢٤ : ٥ . لهذا نزلت إلى موضع المرارة حيث تزدهر الكرمة والعديد من الأثمار كالرمان ( نش ٦ : ١١ ) ... **فى المرارة تعرف النفس ذاتها** ، لأن الجسد الفاسد يثقل عليها ، وسرعان ما ينحط مسكنها الأرضى ، لكن عليها أن تعرف ذاتها .

بُطرس جُرّب ولم يعرف ذاته ، لأنه لو عرف نفسه لما أنكر خالقه ( لو ٢٢ : ٥٤ـــ٦٢ ) ، لكن المسيح عرفه . حقاً عرفه ، لأنه ينظر إليه ( لو ٢٢ : ٦١ ) . « يعلم الرب الذين هم له » ٢ تى ٢ : ١٩ ـــ كسيد صالح اجتذبه من سقطته بزمام رحمته ، إن جاز التعبير .

## المسيح يقود كنيسته كمركبة

٦٥ـــ تقول النفس : « لقد جَعَلَتْنى كمركبات عميناداب » نش ٦ : ١٢ LXX . [ عميناداب = عمى كريم ، أو قوم شريف ، أو أمير شعبى ، أو موكب أميرى ] .

النفس هى مركبة تحمل سيدها الصالح ، لها جياد صالحة أو رديئة . الجياد الصالحة هى فضائل النفس ، والرديئة هى الشهوات الجسدية ، لهذا يكبح السيد

الصالح الجياد الرديئة ويسحبها إلى خلف بينما يحث الصالحة ( للتقدّم إلى الأمام ) .

الجياد الصالحة أربعة : التعقل والاعتدال والثبات والعدل . والجياد الرديئة فهى الغضب والشهوة والخوف والظلم . أحيانا تكون هذه الجياد فى تعارض مع بعضها البعض ، كأن يتهيّج الغضب أو الخوف فيعوق أحدهما الآخر ويبطىء الاثنان فى تقدمهما . أما الجياد الصالحة فتنطلق طائرة ، ترتفع عن الأرض إلى أماكن علوية ؛ فترتفع النفس خصوصاً إن كان لها النِيرُ الحلو والحمل الخفيف للقائل : « احملوا نيرى عليكم ... لأن نيرى حلو وحملى خفيف » من ١١ : ٢٩ ، ٣٠ .

إنه السيد الذى يعرف كيف يسوس جياده ، فيحافظ الكل على نفس الخطوة ( ليسير الكل فى انسجام ) . فإن كان التعقل سريعاً جداً والعدل بطيئاً جداً يحث الأكثر تكاسلاً بسوْطه . وإن كان الاعتدال لطيفاً جداً والثبات حاداً جداً ، يعرف كيف يوّحد غير المنسجمين حتى لا يفقدا تقدمهما ...

حسناً قيل: «قد جَعَلْتَنِى كمركبات عميناداب»، وهو اسم معناه «أب شعب»، وأب الشعب هو أيضا أبونحشون (عد ١ : ٧؛ ٢ : ٣)، معناه «من الحية أو الثعبان». تذكروا الآن من عُلق على الصليب كحية لخلاص كل البشر (يو ٣ : ١٤ ، عد ٢١ : ٩)، فستدركون التى لها الله حاميها والمسيح قائدها هى فى سلام؛ لأن تلك اللفظة «قائد» وردت فى كتابنا المقدس: «يا أبى يا أبى قائد (مركبة) اسرائيل» ٢ مل ٢ : ١٢ .

## المسيح يصحح مسار الكنيسة ( مركبته )

٦٦ــ يقول ذلك القائد : « ارجِعى . ارجِعى ياشوليث » نش ٦ : ١٢ ، ومعناها « فى سلام » ، لأن النفس التى فى سلام ترجع بسرعة وتصحح ذاتها . إذ سبق فأخطأت يركبها المسيح وبالحرى يحسب ذلك لائقاً أن يرشدها . له قيل : « اِركبْ خيلك ، مركباتك مركبات خلاص » حب ٣ : ٨ LXX . وفى نص آخر قيل : « أرسلت خيلك إلى البحر » حب ٣ : ١٥ LXX . هذه هى جياد المسيح . يركب جياده ، أى يركب كلمةُ الله النفوسَ التقية .

## المسيح يُصعدها نخلة النصرة

٦٧ــ على هذا الأساس ، اعلموا أنه أيضاً قد ركب نفس العروس ( الكنيسة ) وقادها إلى موضع النخلة رمز النصرة ، حينما قال لها : « ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة ، فى مباهجك ، قامتك هذه شبيهة بالنخلة » نش ٧ : ٦ ، ٧ . أما هى فتقول : « قلتُ إنى أصعد النخلة » نش ٧ : ٨ . المحبة ذاتها هى النخلة ، لأنها هى نفسها ملء النصرة . « المحبة هى تكميل الناموس » رو ١٣ : ١٠ ، فلنركض إذن لننالها .

من يغلب يصعد لينال النخلة وينعم بثمارها . من يغلب لا يبقى فى السباق كما هو مكتوب : « من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبى فى عرشه » رؤ ٣ : ٢١ . من هذا المصدر رسم الفلاسفة سباقات المركبات للنفوس فى كتبهم ، لكنهم لم يستطيعوا بلوغ نخلة النصرة ، لأن نفوسهم لم تعرف قامة الكلمة وارتفاعه . أما النفس التى يسكن فيها الكلمة فتعرف ذلك .

## المسيح يبلغ بها إلى كمال الحب وسط جهادها

٦٨ــ تتحدث هكذا : « أنا لأخى الحبيب ، وإلىّ اشتياقه » نش ٧ : ١٠ LXX . إنها تكرر هذا الفكر ثلاث مرات بطرق مختلفة فى نشيد الأناشيد .

فى البداية تقول : « أخى لى وأنا له ، الراعى بين السوسن ، إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال » نش ٢ : ١٦ ، ١٧ LXX .

ثم تقول : « انا لأخى الحبيب وأخى الحبيب لى ، الراعى بين السوسن » نش ٦ : ٣ LXX .

وقرب النهاية تقول : « أنا لأخى الحبيب وإلىّ اشتياقه » نش ٧ : ١٠ LXX .

تقترن الحالة الأولى بتكوين النفس ، لذا تقول أولاً : « أخى لى » ، فإنه ما أن يَسْتعلِن ذاته تدخل النفس التى لم تكن قد التصقت بالله فى طريق الحب . ما يلى ذلك يشير إلى تقدم النفس .

أما الحديث الثالث فيشير إلى كمالها

فى المرحلة الأولى ، أى مرحلة التكوين ، ترى النفس ظلالاً لم تكتمل بعد باستعلان قدوم الكلمة ( نش ٢ : ١٧ ) ، ومن ثم لم يكن قد سطع بعد عليها نور الإنجيل . وفى الثانية تنعم بروائح زكية دون اختلاط بالظلال ، وفى الثالثة تكتمل إذ توفر للكلمة موضع راحة فيها ، فيلتفت إليها ويسند رأسه عليها ويجد راحة . الآن حظيت بالمجازاة التى لم تحصل عليها وهى تبحث من قبل وتدعوه قائلة :

## المسيح يقوت المُتعبين

٦٩ــ « تعال يا أخى فلنخرج إلى الحقل ، لنسترح فى القرى » نش ٧ : ١٢ . سبق أن دعته إلى جنتها ، وهنا تدعوه إلى حقل ليس فيه أزهار جميلة فحسب ، بل فيه أيضاً قمح وشعير ، أى إلى أساسات أقوى للفضائل ، لكى ترى ثمارها .

« لنسترح فى القرى » التى إليها نُفِىَ آدم حينما طُرِد من الفردوس . فيها يجد راحة ، لكنه يعمل فى الأرض .

إدراكنا لسبب رغبتها فى أن يخرج إلى الحقل واضح : أن يطعم قطيعه كراع صالح ( يو ١٠ : ١١ ، إش ٤٠ : ١١ ؛ حز ٣٤ : ٢٣ ) ، يسند المتعبين ، ويسترد الضالين . فبالرغم من أن تلك النفس قد إنحزت له الجديد والعتيق ( الثمار الطازجة والعتيقة نش ٧ : ١٤ ) لكنها لا تزال مثل حمل يجب تغذيتها بشراب اللبن ( ١ كو ٣ : ٢ ) .

يبدو أنها صارت كاملة ، لا لنفسها بل للغير ، لهذا تتشفع أن يخرج من حضن الآب ، يخرج من الأبواب كالعريس الخارج من خدره المجرى سباقه ( مز ١٩ : ٥ ) . تتشفع أيضاً أن يربح الضعفاء وألا يتوانى فى عرش الآب البعيد وفى ذلك النور ، لأن لمن لا قوة لهم لا يستطيعون البلوغ إلى هناك ؛ إنما يأتى إلى مسكن العروس وحجالها ( نش ٨ : ٢ LXX ) ، وأن يخرج من الأبواب لكن فى الداخل لأجلنا ، وأن يكون فى وسطنا حتى وإن كنا لا نراه ( يو ١ : ٢٦ ) ؛

### المسيح يدخل أبواب العروس

٧٠ــ على هذا الأساس تقول : « من يعطيك لى كأخ ، يا أخى ، الراضع ثَدْيَىْ أمى ؟ إذا ما وجدتك خارج الأبواب أقبّلك » نش ٨ : ١ .

صالحة هى النفس التى هى خارج الأبواب ليدخل الكلمة داخلها ، هى خارج الجسد كى يسكن الكلمة فينا ( كو ٣ : ١٦ ) .

### المسيح يرتفع معها إلى العلويات

٧١ــ « سأخذك إلى أعلى وأقودك فى الداخل » نش ٨ : ٢ . حسن أن نأخذ كلمة الله إلى أعلى ونقوده للداخل ، لأنه يقرع على النفس . ليُفتح له الباب ، فإنه ما لم يجده مفتوحاً لا يدخل . لكن إن فتح أحد يدخل ويتعشى معه ( رؤ ٣ : ٢٠ ) . تأخذ العروس الكلمة إلى أعلى بطريقة هكذا قد تعلمتها . لهذا ليس بدون سبب تبقى النفس ترتفع إلى المنازل العلوية متقدمة على الدوام .

### على المسيح تستند العروس صاعدة

٧٢ــ هذا ما تعنيه الفضائل ( ربما يقصد طغمة سماوية ) إذ يقولون : « مَنْ هذه الطالعة المتسربلة بثوب أبيض ، مستندة على أخيها ؟ » نش ٨ : ٥ LXX . منذ برهة قالوا : « مَنْ هى المشرقة مثل الصباح ، جميلة كالقمر ، طاهرة كالشمس » نش ٦ : ٩ LXX ؟! هنا نجد إضافات ، إذ تصعد مستندة على كلمة الله ، لأن مَنْ هم أكثر كمالاً يستندون على المسيح تماماً كما كان يوحنا متكئاً على صدر يسوع ( يو ١٣ : ٢٣ ) . فهى إذاً إما أنها استراحت فى المسيح أو استندت عليه أو حتى ــ مادمت أتحدث عن الزواج ــ قد نالت قوة المسيح ، واقتيدت إلى حجال العرس بواسطة العريس .

### المسيح يتعهدها تحت شجرة التفاح

٧٣ــ لأن اتحاداً من الحب قام الآن ، فالعريس يعانقها : قائلاً : « تحت شجرة التفاح تعهدتك هناك ، ولدتك أمك هناك ، ولدتك التى حملت بك » نش ٨ : ٥ LXX .

طوبى للنفس التى تجلس عند الشجرة المثمرة ، خصوصاً الشجرة ذات الأريج الطيب . لأنه إن كان نثنائيل الصالح الذى لم يكن فيه عيب قد رُئى تحت شجرة تين ( يو ١ : ٤٧ــ٥٠ ) ، فمن المؤكد أن النفس التى يتعهدها العريس تحت شجرة تفاح هى نفس صالحة . إنه لأمر أعظم أن تُتعهَّد عن أنْ تُنظر ، والأعظم أنْ يتعهَّدها العريس نفسه ( نش ٨ : ٥ ) . فإنه على الرغم من أنّ نثنائيل قد شوهد تحت شجرة ، لكن نفسه لم تكن عروساً ، إذ جاء الى المسيح سراً ، لأنه كان يخشى اليهود . لم تكن نفسه جميلة كالقمر ، طاهرة كالشمس ( نش ٦ : ١٠ ) ، لأنها كانت فى الظل ، بينما تزوج العريس نهاراً مُعلناً ذلك جهاراً .

إنْ كانت ( نفس ما ) تحت شجره التفاح والأخرى تحت شجرة التين ، فلأن الأولى نشرت عبير عمل إيمانها على مساحات أوسع ، أما الأخرى فاقتنت عذوبة الطهارة وعدم الخزى لكنها لم تملك عبير الروح .

## المسيح يُتصوَّر فى النفس

٧٤ــ « هناك ولدتك أمك ، هناك ولدتك من حبلت بك » . لأننا وُلدنا هنا ميلاداً جديداً . لذلك هم أيضاً يولدون (خلالنا ) الذين فيهم يُتصوَّر المسيح ، لذا يقول الرسول : « يا أولادى الذى أتمخض بهم إلى أن يتصور فيكم » غل ٤ : ١٩ . الآن حالة ولادة تلك التى تُقدّم روح الخلاص فى رحمها وتسكبه على الآخرين .

## المسيح ختم عروسه

٧٥ــ على هذا الأساس إذ يُتصوَّر المسيح فعلاً فيها ، تقول العروس : « اجعلنى كخاتم على قلبك ، كخاتم على ساعدك » نش ٨ : ٧ . المسيح هو خاتم على الجبهة وختم فى القلب . على الجبهة حيث نعترف به على الدوام ، فى القلب لأننا نحبه دوماً ، علامة على الذراع حيث نمارس عمله باستمرار . لهذا فلتُشرق صورته فى اعتراف إيماننا ، ولتُشرق فى حبنا ، وفى أعمالنا وأفعالنا حتى إنْ أمكن ينعكس كل جماله فينا .

**ليكن رأسنا ، لأن « رأس الرجل المسيح » ١ كو ١١ : ٣ .**
**ليكن عيوننا ، به نرى الآب .**
**ليكن صوتنا ، به نحدث الآب .**
**ليكن يميننا ، به يمكننا أن نأتى بذبيحتنا لله الآب .**
**هو أيضاً ختمنا الذى هو علامة الكمال والحب** ، لأن الآب إذ يحب الابن وضع خاتمه عليه ، كما نقرأ : « لأن هذا الله الآب قد ختمه » يو ٦ : ٢٧ .

فالمسيح هو حبنا ! صالح هو الحب ، إذا قَدَّم ذاته للموت عن تعديات العالم . صالح هو الحب الذى يغفر الخطايا .

## المسيح يسربل عروسه بالحب حتى الموت

٧٦ــ فلتتسربل نفوسنا بالحب ( هنا إشارة إلى المعمودية حيث نلبس المسيح الحب ) ، الحب القوى كالموت ( نش ٨ : ٦ ) . لأنه كما أن الموت هو نهاية الخطايا ( به نكف عن ارتكاب الخطايا ) ، هكذا أيضا المحبة ، لأنَّ مَنْ يحب الرب يكف عن ارتكاب الخطية . لأن المحبة « لا تظن السوء ، ولا تفرح بالإثم ، بل تحتمل كل شيء » ١ كو ١٣ : ٥ــ٧ . لأنه إنْ لم يطلب الإنسان ما لخيره كيف يطلب ما هو لخير الآخرين ؟ ( ١ كو ١٣ : ٥ ) .

قوىٌّ أيضاً هو ذلك الموت الذى بالجرن ( المعمودية ) الذى به تُدفَن كل خطية ، ويُغفَر كل إثم . هكذا كانت المحبة التى جاءت بها المرأة المذكورة فى الإنجيل والتى قال عنها الرب : « غُفِرتْ خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً » لو ٧ : ٤٧ .

قوىٌّ أيضاً هو موت الشهداء القديسين الذى يُبيد الإثم المبكر ... الموت المعادل لآلام الشهداء قوىٌّ حتى إنه يمحو عقاب الخطايا .

## المسيح يَهب النفس أجنحة نار الغيرة المقدسة

٧٧ــ « الغيرة كالعالم السفلى ( الهاوية ) نش ٨ : ٦ ، لأنَّ مَنْ له غيرة لله لأجل المسيح لا يفقد ما هو عليه . المحبة تحتضن الموت ؛ المحبة تحتضن الغيرة ،

للمحبة جناحان من نار . إذ أحب المسيح موسى ظهر له فى نار . وإذ اقتنى إرميا موهبة الحب الإلهى يقول : « نار محرقة محصورة فى عظامى فضعفتُ من كل جانب ولم أستطع » إر ٢٠ : ٩ LXX .

صالحة هى المحبة ، إذ لها جناحان من نار محرقة ، تلتهب فى صدور القديسين وقلوبهم ، وتُحرِق كل ما هو مادى وأرضى ، لكنها تمتحن كل ما هو طاهر ، وبنارها تجعل كل ما تمسه فى حال أفضل . هذه النار أرسلها الرب يسوع على الأرض ( لو ١٢ : ٤٩ ) ، ليسطع الإيمان فى وضوح وتتَّقِد تَقْوَى العبادة ويَستنير الحب ويتألق البر . بهذه النار أَلهَبَ قلب رسله ، كما شهدَ كليوباس ، قائلاً : « ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا عندما كان يوضح لنا الكتب ؟ » لو ٢٤ : ٣٢ . لهذا فجناحا النار هما لهيب الكتاب المقدس .

حقاً ، لقد فسر الكتاب المقدس : فانطلقت النار واستقرت فى قلوب سامعيه . حقاً كانت أجنحة نار ، لأن « كلام الرب كلام نقى كفضة مصفاة بالنار » مز ١٢ : ٦ . وحينما اختار الرب بولس ، رأى ( بولس ) نوراً أبرق حوله وحول الذين كانوا معه ، فسقط على الأرض خوفاً وقام مقبولاً ، والذى كان مُضطهِداً ( للكنيسة ) صار رسولاً ! ( أع ٩ : ٣ــ٧ ، ١ تى ١ : ١٣ ) . أيضا نزل الروح القدس « وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار » أع ٢ : ٢ ، ٣ .

صالحة هى أجنحة الحب ، الأجنحة الحقيقية التى ترفرف على أفواه الرسل ؛ أجنحة النار التى تنطق الكلام النقى ( مز ١٢ : ٦ ) .

على تلك الأجنحة طار أخنوخ حين أُختطِفَ إلى السماء ( تك ٥ : ٢٤ ) .

وعلى هذه الأجنحة انطلق إيليا حينما صعد بالمركبة النارية والجياد النارية إلى الأماكن العلوية ( ٢ مل ٢ : ١١ ) .

على هذه الأجنحة قاد الرب الإله شعب الآباء البطاركة بعمود من نار ( خر ١٣ : ٢١ ) .

للسيرافيم هذه الأجنحة ، فحينما أخذ ساروف جمرة النار من على المذبح ، ولمس بها فم النبى ، أزال آثامه وطهر خطاياه ( إش ٦ : ٦ ، ٧ ) .

بنار هذه الأجنحة تطهَّر أبناء لاوى ( ملا ٣ : ٣ ) وتعمدت قبائل الأمم كما يشهد يوحنا حينما قال عن الرب يسوع : « سيعمدكم بالروح القدس ونار » مت ٣ : ١١ ؛ يو ١ : ٣٣ .

حقاً أراد داود لحقويه وقلبه أن تُحرق ( وتُصفَّى بالنار مز ٢٦ : ٢ ) ، إذ عرف أنه لا ينبغى أن يخشى أجنحة الحب النارية .

لم يشعر الفتية العبرانيون فى أتون النار المتقدة ( بحرارة ) النار المستعرة ، والسبب معروف أن لهيب الحب أعطاهم برودة ( دا ٣ : ٥٠ ) .

ولكى نعرف أكثر أن للحب الكامل أجنحةً اسمعوا المسيح يقول : « كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ؟! » مت ٢٣ : ٣٧ .

## المسيح يرفع النفس إليه ( الخير الأعظم )

٧٨ــ لنأخذ إذن تلك الأجنحة مادامت كلهيب يتَّجه إلى الأماكن العلوية . ليجرد كل انسان نفسه من أغطيتها الدنيئة ويزكيها بأن تتطهر من الحمأة تماماً كما تصفى النار الذهب ، إذ تتنقَّى كأفضل أنواع الذهب تماماً . أيضاً جمال النفس وفضيلتها النقية وحُسنها تكمن فى معرفتها الأصدق للأمور العلوية ، فتنظر الخير الذى تعتمد عليه كل الأشياء ، والذى لا يعتمد هو على شىء . هناك تعيش وتتمتع بإدراكاتها ، لأن هذا الخير الأسمى ( المطلق ) هو أصل الحياة . تتَّقد فينا محبته والاشتياق إليه ، فتصير رغبتنا هى الاقتراب منه والارتباط به .

إنه مرغوب لمَنْ لم يره ، وحاضر لمن ينظره .

لهذا يحتقر (الإنسان) كل شىء، ويُسرَّ ويفرح بهذا وحده. فهو الذى يسند الكلَّ بكيانه، وهو قائم بذاته. يعطى الآخرين ولا يأخذ شيئاً لذاته من الغير. عنه يقول المرتل: «قلت لربى أنت إلهى، لأنك لا تحتاج إلى شىء من خيراتى» مز ١٦ :

٢ LXX . هذا وحده ما يشتاق (المرتل) أن يراه. كما يقول فى موضع آخر: «واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس، أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى، لكى أنظر إلى جمال الرب وأتفرَّس فى هيكله» مز ٢٧ : ٤ .

إنْ استحق إذن أحد أن يرى هذا الخير الفائق اللاجسدانى النقى فإلى ماذا سواه يشتاق ؟ لقد رأى بطرس حقاً مجد قيامة المسيح فلم يُرِد أن ينزل ، إذ قال : « يارب جيد أن نكون ههنا !» مت ١٧ : ٤ . ماذا يمكن أن يكون أعظم من مجد اللاهوت الذى لا يُقارَن والنور الذى لا يُدنَى منه ؟ ( ١ تى ٦ : ١٦ ) . أى شيء أعظم من هذا يمكن أن يراه الإنسان أو يرغب فيه ؟ فالملكوت لا يُقارَن ، لا بالغِنَى ولا بالكرامات ولا بالمجد ولا بالقوة التى فى استخدامها لا تحل البركات ؛ لكن الإنتفاع بهذا الخير الفائق أمر مُطوَّب . فلا يتدنَّى الإنسان متطلعاً إلى مثل تلك الأمور ( الدنيا ) بل يلتفت إلى ذلك الخير ويبقى فيه . وإذ يرى تلك الصورة البديعة يدخل إلى الداخل ويترك شبه الجسد الأمور الخارجية . فإن مَنْ يهتم بالأمور الجسدانية لا يهتم بالحرى بالداخل ،بل بالأحرى يُشبِه مَنْ يغرق فى دوامة ويُبتلَع فيها فلا يظهر فى أى مكان بل يغوص فى الأعماق .

لنهربْ إذن إلى موطننا الحقيقى الأصلى ؛ هناك وطننا ، وهناك أبونا الذى خلقنا ، حيث مدينة أورشليم أم جميع البشر ( غل ٤ : ٢٦ ؛ عب ١٢ : ٢٢ ) .

## المسيح يطلقنا إلى أورشليم العليا

٧٩ــ لكن ما هذا الهروب ؟ إنه ليس هروباً بالأرجل الجسدية ، لأنها مهما جرت تبقى على الأرض وتَعبُر من تربة إلى أخرى .

لنهربْ لا بسفن ولا بمركبات ولا بخيل ، لأن هذه تُعوّق وتُعثِر ، إنما لنهربْ بالروح والأعين والأقدام الداخلية . ليت عيوننا تعتاد أن ترى المُشرِق والساطع ، تنظر وجه العفة والاعتدال وكل الفضائل التى ليس فيها ما هو قبيح أو مُبهَم أو مُعقَّد . ليتطلع كل أحد إلى نفسه وإلى ضميره ، وليغسل عينه الداخلية فلا يكن

فيها قذارة . لأن ما يُرى يلزم ألاَّ يخالف مَنْ يُرى ، إذ يريد الله أنْ نتوافق مع صورة ابنه ( رو ٨ : ٢٩ ) .

فالخير معروف لدينا ؛ ليس ببعيد عن أحد منا ، إذ به نحيا ونتحرك ونوجَد ... لأننا نحن أيضا ذريته ( أع ١٧ : ٢٨ ) ...

هذا هو الخير الذى نطلبه ، الخير الوحيد ، لأنه ليس صالح إلا الله وحده ( مر ١٠ : ١٨ ؛ لو ١٨ : ٩ ) .

هذه هى العين التى تنظر الجمال الحقيقى العظيم ؛ العين القوية السليمة التى وحدها تعاين الشمس ؛ إنها النفس الصالحة التى وحدها ترى الصلاح . لذلك مَنْ يريد أن يرى الرب وطبيعة الخير يلزمه أن يكون صالحاً .

لنكن مثل هذا الصالح ( الله ) ونصنع أعمالاً صالحة تليق به . هذا هو الخير ( الله ) الذى يفوق كل عمل وكل فكر وكل فهم . إنه ذاك الذى يبقى دائماً ، ونحوه تتجه كل الأشياء . « الذى فيه يحل ملء اللاهوت » كو ٢ : ٩ ، وبه تتصالح معه كل الأشياء .

ولكى نعرف طبيعة الخير بالأكثر ، فالحياة هى الخير ، لأنها ثابتة على الدوام ، تهَب الجميع وجودهم وكيانهم . ومصدر حياة الكل هو المسيح ، الذى عنه يقول النبى : « فى ظله نعيش » مرا ٤ : ٢٠ . الآن « حياتنا مستترة فى المسيح ، ومتى أُظهِر المسيح حياتنا ، فحينئذٍ نحن أيضاً نظهر معه فى المجد » كو ٣ : ٣ـــ٤ . لهذا يليق بنا ألا نخشى الموت ، فإنه راحة للجسد ، وحرية للنفس وانفصال لها . يجب ألاَّ نخاف من يقتل الجسد ولكن النفس لا يقدر أحد أنْ يهلكها ( مت ١٠ : ٢٨ ) . لأننا لا نخشى مَنْ يخلع ملبسنا ، ولا نخاف مِمَّنْ يستطيع أنْ يسلب ممتلكاتنا لكنه لا يقدر أن يسلبنا أنفسنا . إننا إذن نفوس ، إن كنا نرغب أن نكون عبرانيين مرافقين ليعقوب ( تك ٤٧ : ٢٦،٢٧ ) ، مُتشبّهين به . نحن نفوس ، أما أعضاؤنا فهى لباسنا . يلزم أن يُحمى اللباس بحق فلا يُمزَّق ولا يُبلى ( عب ١ : ١١ ) ، لكن يليق بمنْ يستخدمه أن يحمِى أولا نفسه ويحرسها .

+ + +

المحتويـــــات



+ + +